

# قصائد من بريطانيا

د. الزين عباس عماره

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر - السودان

811.9624 الزين عباس عماره 1939

زق

قصائد من بريطانيا/ الزين عباس عماره. - ط2.مزيدة. الخرطوم :

دار باركود للترجمة والنشر والتوزيع، 2022.

94ص: 24 سم.

ردمك: 9-600-0-99988-978-ISBN

1. الشعر العربي- السودان. أ. العنوان

رقم الإيداع: 2022/002490338

الطبعة الأولى 1970

طبعة ثانية 2022

مزيدة ومنقحة

الطباعة

سينان العالمية للطباعة

التصميم الداخلي وتصميم الغلاف

محمد الهادي السنوسي

الناشر



دار باركود

للنشر والتوزيع والترجمة  
الخرطوم - الرياض

تلفون: + 249 999813222

E-mail: bcode@barcodebookshop.com

www. barcodebookshop.com

© حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لدار باركود

## الفهرست

5	اهداء
6	اهداء الطبعة الثانية
7	مقدمة
9	مقدمة الطبعة الثانية
13	تجربة الغربية
16	الطب... والأدب
18	الشعر
23	«خواطر غريب في لندن»
28	«جمال عبد الناصر»
33	«رسالة تحت مظلة الجليد»
35	«تذكار»
36	«ليلة عيد الميلاد»
37	«أحزان المنفى»
39	«صور القرية»
41	«خواطر الغريب»
42	«حديث المدينة»
44	« حلم العودة »

- 47 «رقصة جوليانا»
- 50 «وقفة عند قبر أبي»
- 54 «المضيقة»
- 57 «رسالة الى بولين في عيد الميلاد»
- 61 «بطاقة ضائعة»
- 63 «خمس صفحات من مفكرة أيلول»
- 69 «اسمها آن»
- 72 «حاشية»
- 73 كلمات ملتبهة في وداع صديقتي بريطانيا
- 78 تهنئة قلبية لميلاد «زَيْن»
- 82 لبيك يا وطني
- 84 وداع الأحبة
- 87 رسالة إلى أحلى عناويني
- 90 (بطاقة حب للامارات)
- 93 (الشمعة المنطفئة)

## اهداء

إلى طفلتي... أن  
أهدي هذا الديوان  
«قصائد من بريطانيا»

## اهداء الطبعة الثانية

إلى حفيدي الجديد

زين - فرحة الشمعتين

شمعة في حياة والديه تضيء درب المستقبل الموعود

وشمعة في حياتي أعادت لي نظري المفقود

وأدخلت الفرحة في قلوب الجميع

## مقدمة

لست من المؤمنين بجدوى المقدمات، وكنت أفضل ألا تكون هناك مقدمة وعندما فرضتها ضرورة الحدث أثرت ألا تكون عن الديوان، رغم وجودها بين دفتي الغلاف فهي إجابات للأسئلة التي طرحت عليّ في أكثر من مجال في أوقات متفاوتة.

وقد رأيت وأنا في منتصف العقد الرابع من العمر أن يكون لي موقف، وأن ألتزم برأيي في هذه القضايا، قد لا تصل درجة عالية من النضوج ولكنها لا تخلو من قسط وافر من الصدق والأمانة الأدبية.

إجابات مبتسرة بالصورة التي تفرضها مساحة الورق وطول نفس القارئ المتبع للقضايا، وقدرتي على الإقناع بأقل قدر من الكلمات، وأنا أعرف سلفاً أن الرأي سيثير قضايا أكثر وأقل أهمية، وقد يفتح أبواباً ظلت مغلقة بفعل الزمن في الرحلة الطويلة التي غاب فيها وجهي عن - مطالعة الناس وقلمي عن معانقة الورق.

ولما كان الإيجاز طابع كل مقدمة فلتكن الإجابة عن رأيي في تجربة الغربة. إلى أي حد أثرت حسي الفني أو أفقرت موهبة الإبداع؟ ورأيي في الشعر، قضية الرمز والوضوح، إلى أي حد نشطت الحركة الأدبية أو قعدت بها؟ وأخيراً علاقة الطب النفسي بالأدب وهو رأي أثير في كثير من الصحف السيارة في بداية الستينيات ومازال يطاردني السؤال في التجمعات الخاصة والمجالات الأدبية العامة.

إنني لا أملك قدرة «كولن ويلسون» في (أبعاد الإنسان) لأطرح اجابات  
قاطعة لأسئلة في غاية التعقيد ولكني أملك حصيلة تجربة في مجال عملي  
تستلزم مني استيعاب مهام المرحلة النفسية التي يمر بها الجيل المعاصر، من  
أنا؟ ومن سأكون؟

## مقدمة الطبعة الثانية

مقدمة.. مرة أخرى\*

اكتب هذه المقدمة لاننى كنت وما زلت لدى قناعة كبيرة بأن من أكبر معوقات الإبداع فى السودان هى صعوبة النشر، وتظل الكتب والدواوين الشعرية والاصدارات الفكرية حبيسة الإدراج حتى يرحل المبدع، وتبدأ المنتديات والهيئات الأدبية تتبارى فى نشر تراث الراحل العظيم الذى كانت تحجبه عن الاضواء مقولة (إن شاء الله يوم شكرك مايجى). وعندما يأتى هذا اليوم وربما عملاً بالحديث الشريف (اذكروا محاسن موتاكم).... أقول هذا عندما اقترح على الناشر الأديب الصديق دكتور محمد الصادق جعفر صاحب (دار باركود) عمل طبعة ثانية لهذا الديوان (قصائد من بريطانيا) دون غيره من الدواوين الموجودة فى الموقع الإلكتروني الخاص بي أجبني لأنه وجد فى هذا الديوان قصيدة: (خواطر غريب فى لندن)

التي أقول فيها :

ودع همومك إذ تودع لندنا

وارحل إلى السودان قلباً آمناً

وأنه كان يجد فيها كثيراً من الترويح النفسى عندما كان مبتعثاً للدراسة آنذاك. واشهد أنه نفس الشعور الذى دفعنى لكتابة القصيدة حتى بعد أن تغيرت الأحوال المعيشية والاجتماعية معي، وتوفرت لى حياة افضل وانفرجت عندى أزمة السكن لأطفالي، لكن ظل الحنين إلى السودان يشدني حتى عند ما حصلت على زمالة الطب النفسى رجعت فوراً إلى

السودان بحثاً عن الملاذ الآمن والحضن الدافئ من صقيع الشتاء. وبعد ميلاد ابنتي الدكتور أن مباشرة وفي زمان كانت عقيدتنا أن البحث عن غير الجنسية السودانية جريمة في حق الوطن.. في زمان المد الثوري في الستينيات واكتفيت باهداء الديوان لها، وعدت إلى السودان وعمرها شهران، وكنت فرحاً ولا أريد أن أكرر ما سبق لي كتابته في كتابي (رحلتي مع الطب النفسي)، ولكنني تعجبني المقاربة بين حياتي في بريطانيا باشجان (خواطر غريب في لندن) واقامتي حتى اليوم في الإمارات، حيث توفرت لي كل ظروف الحياة الكريمة منذ اللحظة الأولى، وكتبت قصيدة (بطاقة حب للإمارات) لكنني بقيت أعيش حياتي بقلب يفيض حباً عميقاً للإمارات، ولا يحلم بجواز بديل للسوداني.. مقاربة الظل والعود.. فلن يستقيم الظل والعود أعوج.. فلذلك لم تهدأ اشجان الغربة خارج الوطن هنا بكل مظاهر النعيم والترف، وهناك بكل مصاعب الجحيم والشظف، وهذا ما قلته في قصيدة (لييك يا وطني) بعد عودتي للسودان، وهي أشبه ما تكون متلازمة (مع خواطر غريب في لندن). نفس المشاعر التي دفعتني من بريطانيا إلى داخل السودان، وخرجت من السودان إلى داخل الإمارات. فقط فيها يتجسد الحلم الكبير في العودة الأبديّة... ورغم الفارق النوعي والموضوعي في ظروف الحياة التي دفعتني من بريطانيا وجذبتني إلى الإمارات إلا أنني ما زلت أردد:

حنانك يا أمي حنانك يا أبي

وهل ارتجبي من دون غيرك حانيا

أجد وأشقى في هواك وغايتي

أراك على الخالين عني راضيا  
ومن أجل عينيك اللتين أراهما  
تشعان حباً صادق الوعد ناميا  
تهون عذابات السنين وتنجلي  
سحابات حزن تجعل الحزن غاليا  
وما قيمة الدنيا إذا لم تضميني  
إليك وتدعوني فليكن داعيا

ولكننى أتساءل إلى متى تبقى الطيور المهاجرة بين أمنيات العودة  
الجاذبة أو الطاردة، والدعوة الكاذبة الخادعة التى تفرق بين النقيضين من  
المغتربين بالخارج، والمقربين بالداخل مهما أنفق أولئك على هؤلاء حباً  
ومودة وعطاء، حتى أصبح اغلب المهاجرين غرباء وطوبى للغرباء.

لقد انقضت الآن أربعة عقود ما بين بعثتى الموقوتة فى بريطانيا وغربتى  
المفتوحة فى الإمارات.. المسافة الزمنية ما بين الطبعة الأولى والثانية للديوان  
هى عمر جيل كامل، أصبح الداخل مفقوداً والخارج مولوداً حتى أن معظم  
الجيل الجديد يبحث عن الخروج من الوطن.. من آلاف النازحين واللاجئين  
جواً وبراً وبحراً فى قوارب الموت، لا يريدون طوق نجاة والوطن ظل يدور فى  
حلقة مفرغة، من حكم شمولى عسكري طويل تتبعه استراحة محارب فى  
ثورة شعبية مجهزة، لا تزيد عن ثلاث سنوات فى الدورة الخبيثة. وكانت  
النتيجة أشبه بتدحرج الصخرة من قمة الجبل، والعودة إلى الوراء بمسافات  
خرافية فى كل مناشط الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وليس

أقوى دليل على ذلك من تصنيفه (سلة غذاء العالم) فى الثمانينات إلى  
رصده فى موقع الدول المهددة بالمجاعة الآن، وقد مضى ستون عاماً على  
استقلاله ولم ينعم حتى اليوم بأى نوع من موارده الطبيعية، التى ينتظرها  
كل العالم فوق الأرض وتحت الأرض.

ويكفى اننى كاحد أبناء الجيل المنكوب، ولست افضلهم والذى يبحث  
عن ملاذ آمن فى وطن مغلوب على أمره خرجت من بريطانيا، يدفنى  
الشوق الغريزي إلى الملاذ الأمن فى السودان، فوجدت نفسي كالذي  
يستجير من الرمضاء بالنار داخل السودان حتى وقد كنت مستصحباً كل  
معانى الحب والتضحية من أجل بناء الوطن الجديد.

يكفى اننى خرجت من بريطانيا أحمل على كتفى طفلي آن، التى  
اهدت لها الطبعة الأولى من هذا الديوان للعيش فى السودان، وحملت  
معى كل متطلبات البقاء فيه ومستلزمات الصمود به. ويشاء الله أن أخرج  
منه ثانية وتنشأ ابنتي الدكتورة أن تتعلم وتزوج وتنجب وتعمل استشارية  
للطب النفسى خارج السودان، فى دولة الإمارات، وتصدر الطبعة الثانية  
للديوان وأنا قد تقاعدت عن العمل نهائياً فتصبح كفيلى بجنسيتهما  
البريطانية واقامتة الإماراتية مع أطفالها... لأعيش وسط احفادي خالد  
ويوسف ولما وزين وأنا ما زلت قابضاً على الجمر، احمل بطاقتي السودانية  
شأنى شأن الكثيرين من المهاجرين والمهجرين والمغتربين والمستغربين،  
والذين اغتربوا طويلاً ليعودوا أخيراً لقضاء خريف العمر فى الوطن ولسان  
حالهم يقول:

لك الله يا وطني

## تجربة الغربية

إن الحديث عن الغربية لا يحتاج إلى مقدمة، إنها الغربية وكفى . ولكننا سنحتاج إلى تعريف البعد الثالث للغربية النتيجة الموضوعية للتفاعل بين الغربية والإنسان، الوحدة التي بدون اسم، وحدة هي أسمى من وحدة الصخر في أعلى قمة الجبل، إنها ليست غربة عبدالمعطي حجازي في (مدينة بلا قلب) غربة الريفني الذي طحنت أعصابه المرهفة حضارة المدينة، ولكنها الفراغ النفسي الناشئ من الإحساس بالغربة في وطن آخر، شعور بالمأساة، بشكل أكثر حدة وأبعد عمقا.

شعور الغربية تمزق نفسي حاد، صراع الإنسان في أن يكون محبا ومحجوبا في بلاد لا تتعري من أجل المحبة فقط، في أن يكون قابلا ومقبولا بين أناس يقيسون سلوك الفرد بالمسطرة عواطفه بالترمومتر، أن يكون حصيلة مليون عاطفة، تصب في ناصية نهر واحد، فهو يخشى أن يفقد حنان كل فرد، فيقول له المجتمع: أنت جاهل أم مجنون؟ فيصيبه الصداع النصفي وتسحقه الأفكار الاضطهادية ويعود في يده قبضة ريح بعد أن غاص في أعماق الحضارة الضحلة، فارتد إلى طبيعته الأولى بصدمة نفسية جديدة قُدمت له في طبق فضي.

تجربتي ليست غربة (كامو وكافكا) حيث تتجسد استحالة النصر وتتجدد الرغبة في الرحيل إلى جزر مجهولة، بعيدة عن عيون الناس «كانت المدينة مومسا عجوزا ذات وجه شاحب متعب لا يعرف الابتسام».

إن الغربة لوحة تجسم قلقا نفسيا يعيشه الفرد في إطار مأساوي مغلق في أشنع صور الظلام، فالفرد في الغربة رقم في كتيبة مقاتلة تخرج في مهمة خطيرة قد لا تعود بعدها وقد تعود بعد أن فقدت معظم أفرادها في حقل الألغام الذي زرعه العدو، هذا العالم المعاصر، الذي مسخ شخصية الفرد، وانكب في معاملته الحديثة يشرح عواطفه بالعقل الالكتروني يزيد حواسه الخمس، بحواس جديدة يستطيع بها أن ينسى القلق ويحارب التوتر ويضع اعصابه في ثلاجة لا تتأثر بحرارة الواقع المعاش.

إن الغربة تجسد المأساة بشكل مفرج، وإذا لم تضيف جديدا للمأساة كل فرد داخل جدران عزلته النفسية فإنها تجعل الألوان صارخة، والتنوءات بارزة في جسم حياتنا، التي يحاول المجتمع أن يستعمل كل مهارة المساحيق الحديثة حتى توافق الصورة المزاج السياسي والوضع الاقتصادي والشروط الاجتماعية. وقد استجاب أكثر الناس لهذه العملية. عملية غسل المخ وأثروا أن يخضعوا للضرورة فانغمسوا في ملذات الحياة، بصورة انتحارية، تعاطوا المخدرات ومارسوا الجنس وعاشروا المومسات وأصيبوا بالمرض العصبي، أعلى مراحل الاستجابة الفورية للسباق الحضاري الذي لم ينطلق من حلبة واحدة ولم تحدد له ساعة صفر.

لقد أوشكت الغربة أن تدفعني في هذا الاتجاه، ولكنني وقفت كشجرة الصنوبر أمام رياح عاتية تهب من كل الجهات. ودهنت جلدي بطبقة سميقة من جلد التماسيح المستوردة من بلادنا، وحقنت شرياني بجرعة المصل الواقى لجنون العصر، حتى أصبح بيني وبين دخول الدير ومناسك

العبادة خطوات، فوقفت بالخارج ممسكا بمسبحتي القديمة لايماني الصميمي بأن أرضنا القديمة تتحول، ونحن ندور كالشمس في فلك مرسوم لنخرج في النهاية نحمل في أيدينا شهادة جديدة باجتيازنا مرحلة الخطورة.

ولكن لقد فتحت الغربة عيوني على اشياء كنت أتحمسها ولا أراها، ولفرط ما أمنت بها، كنت أزورها كالضريح ورفضت حمل مصباح علاء الدين خشية أن اكتشف أن الصنم الذي عبدته كان وهما عالقا في ذهني، لا وجود له داخل الضريح المغلق ومفاتيحه في جيب العقيدة. وروضتني على - ممارسةالفتح الذهني ورياضة الأخذ والعطاء، وخلصتني من عنترية الفكر وديماجوجية العقيدة. فلم أعد ذلك الثور الأسباني الذي يهيج لمجرد رؤية اللون الأحمر، وأعطتني فرشاة جديدة، وعلبة ألوان وقطعة قماش أبيض لرسم نفسي أمام مرآتها الصافية، لأجد فرصة لقياس المسافة بين الأصل والصورة، وكانت النتيجة تحليلا نفسيا دقيقا لشخصيتي على درجة عالية من الذكاء، أكثر عمقا من النقد الذاتي الذي مارسناه سنوات طويلة، وطويناه في ملفاتنا السرية، لأنه لم يكن صورة مطابقة لتطلعاتنا الشخصية، و رغباتنا المكبوتة.

## الطب... والأدب

ليس من باب المكابرة أن نقول أن الطب النفسي، من بين كل فروع الطب البشري أكثر قدرة على فتح أكثر من مدخل لشكوى المريض، بحيث يعرف الطبيب النفسي من أسرار المريض وحياته الخاصة، ميوله، ومزاجه، وقلقه، ومسرته، أكثر من أطراف علاقاته العائلية، وبالضرورة الوحيد بين الأدباء والكتاب يرصد ويسجل ويحلل نفسية المجتمع الذي يحمل همومه بحكم مهنته. فالظاهرة العارضة في نظره مؤشرات دقيقة لأبعاد عميقة في بناء المجتمع وتركيب الأسرة، وبالفعل والممارسة الوحيد بين الشعراء الذي ينبغي أن يعي ماذا يكتب؟ لمن سيكتب؟ وماذا ينبغي أن يقول؟ وعليه في البدء تحديد متى يستعمل الرمز؟ ومتى يلجأ إلى المخاطبة المباشرة؟ أي القطاعات أكثر قدرة على فهم وهضم ما يريد أن يقول؟ أليس رسالة الأديب كل هذه الأشياء مجتمعة؟ بينما يخاطب الشاعر الآخر مهما كانت أصالته وقدرته قطاعا يفترض فيه قدرا من الوعي ودرجة من الذكاء ورهافة الحس الفني تجعله قادرا على استيعاب مدلول الرمز في الميثولوجيا الإغريقية، سيزيف وبروميثوس.. الخ ليصعد القارئ إلى منزلة الشاعر لا أن ينزل الشاعر إلى مكانة القارئ خشية مرض الضحالة والإسفاف.

وإذا جاز هذا التعميم في مجتمعات أخرى وصلت درجة من الوعي، أصبحت مؤلفات جوركي، هيجو ودوستويفسكي، وشكسبير، وسارتر وأغاثا كريستي جزءا صغيرا من مكتبة الأسرة، فإننا واهمون إذا كتبنا بنفس الأسلوب لأفراد كثيرا ما يجهلون أشهر الأدباء السودانيين، ويعجزون عن إدراك الفرق بين القصة والمسرحية.. الخ.

إن الطب النفسي فيشارة جديدة تعزف أنغاماً متجددة، مشحونة بعناصر  
المأساة! أزمة اليوم، كآبة الغد، الأرق، الشعور بالخوف، الرغبة في الانتحار،  
فقدان الذاكرة والخوف من مرض الأعصاب، تراجعياً محبوسة في صدر  
الطبيب النفسي تملأ رثيته وتشغل قلبه وتمزق وجدانه، وبذلك يتحقق له إمكانية  
نقل الحياة إلى الناس في أصدق صورها، وأدق ملامحها، في الداخل والصور  
تتداعى في مخيلته بشكل عفوي يصبح في النهاية لوحة... كقوس قزح تنضح  
بالألوان، ألوان التعاسة التي ذاق طعمه بكل الإنفعال التلقائي، والإنسجام  
الحقيقي، فيصبح للظاهرة مدلول نفسي أكبر من التفاصيل الجزئية، فالكل ليس  
مجموع الأجزاء في نظر الطبيب النفسي. هذه مصيدة الشاعر الذي لم يجد نفسه  
بعد، فيلجأ إلى اصطياذ الغريب والغامض فينفذ إلى قلب القارئ من جهة العين  
العمياء، والجانب المشلول بفعل تركيبة العقار السحري، الذي يحدثه مزج الرموز  
في العمل الشعري. إن على الطبيب النفسي الذي يكتب الشعر أن يتر القلق  
والتوتر الذي هو سبب نكسة الفرد وتحوله إلى العزلة ومرض الأعصاب، ويزيد  
من مرارة هذه النكسة انغماس الفرد في كافة ملذاته الحسية، المخدرات، الملاهي  
الشذوذ الجنسي... الخ والطبيب النفسي عليه عبء النفاذ إلى أوهام الناس أولاً،  
ثم عملية تبديدها ثانياً، بالإدراك المتكامل لتوعيتها وظروفها وملابساتها.

إن عليه خلق يوتوبيا جديدة أو مدينة فاضلة في عقل كل فرد، وحس  
كل جماعة، لا مدينة خرافية في أنقاض وهم عالق كخيطة العنكبوت  
في جدران المعابد القديمة، التي شوهدت وجه الحياة وجمدت حركتها أن  
يفلت من قبضة الكتاب إلى رحابة الممارسة للعلاج، بالكلمة بالايحاء،  
بالاسترخاء، بالموسيقى، بالشعر.

## الشعر

إنني اكتب الشعر لكي أضع بصماتي على لوحة فنية... تظل عالقة على جدار العالم، الذي صعد إلى أعلى قمم المتعة ثم انحدر إلى أسفل بؤر الضياع. أنا أجاهد لكي تظل لوحتي مسمرة في مكانها، سامقة تستمد نقاءها من التصاقها بقلب الجماهير المتعطشة إلى المعرفة، لا تلهث وراء السراب بل أنزل بها إليها إذا شاءت، طرحة بيضاء في نهار شمس استوائية، حرقت القامات الأبنوسية التي كثيرا ما وجدت مشقة في التعبير عن حاجتها في القول والفعل. والشاعر المتسامي بالرمز.. المتعالي بالفسطة، المنكفي على الميثولوجيا الإغريقية في أسطورة سيزيف، بروميثوس.. الخ. يزيد شعورها بالضياع والعقد النفسية فكأنه يغني للصم، فيحدث الانشطار فليس كل معجون محبوسا خلف جدران المستشفيات العقلية وليس كل اللصوص داخل أسوار السجون. إن الذين بالداخل هم الرمز لكثرة بالخارج حيث - ينتحر المئات لفرط ما امتلأ القلب بالأوجاع والأسى ويتضاعف عدد المرضى بعقولهم بصورة تفوق عدد المرضى بكافة الأمراض الأخرى - وهذه أكبر آفات العصر الحديث.

الشعر قلق مسجون، والشعر أسمى مراحل التعبير عن القلق الفردي والضياع الجماعي، ولا يأتي الإحساس بالأول ولا الوعي بالثاني إلا بمعايشة مشاكل الناس في قلقهم المتستر. والسأم المتجدد كل يوم، والجيل الذي نعيش فيه يعيش قلق وجود،

لا يحس ولا يشعر به إلا من عاصر نوعية الناس ، ولمس بأصابعه العشرة موضع الألم في أجسادهم المنهوكة في رحلة الحياة .

إن الشعر يجب أن يكون شعرا في المكان الأول، قبل أن يكون فلسفة تخضع للرفض والقبول، وإلا كان بطاقة دعوة لمناظرة فجأة أو لحظة استماع لقطعة موسيقية فاترة، قبل البحث عن أي مضمون يجب أن يكون الشعر شعرا، ثم تأتي مرحلة التشريح للمضمون ووضوح الرؤيا، وشفافية التعبير، وعقلانية الرمز، وسلامة اللغة... الخ.

الشعر قد يكون محاولة شكلية بلا قيمة أخلاقية تخضع لايدولوجية معينة، وقد يكون مغامرة رمزية تحتاج إلى كشف الرموز وتفقد حساسية - الإلتصاق بقلب القارئ، وقد تكون فكرة عقلانية لأنها تعالج قضايا فكرية معقدة، فلا تعنى بالايقاع، والنغم والصور الشعرية، ولكنه ينبغي أن يكون شعرا في كل حالاته.

والشعر تعبير عن الباطن، والخاص في نفسية الشاعر ومحاولة اكتشاف خصوصية الذات، بعيدا عن الشكل الخارجي المضمئ إلى دهاليز الداخل المعتم، الذي يتجاوز السطح والقشور فيعطي هزة نفسية عابرة تزول وتترك فراغا شعوريا مضمنا. وعلى الشاعر أن يختار بين السقوط في عمق الرمز والعزلة أو الطفو على سطح البساط والتجرد، وكل شعر مهما غاص في الداخل أو طفح في الخارج له دلالة نفسية، اختيار الموضوع، طريقة التعبير، أدوات البناء كلها تفرضها الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر. الغموض قد يعبر عن موقف رفض أو حالة عجز، والوضوح قد يكون صرخة استغاثة

في أذن صماء، أو حالة كآبة طارئة لا تحتمل الكتمان، وإلا فاضت في غمط سلوكي مدمر وعصبي .

ولادة القصيدة قد تكون نهاية الألم، وقد تكون بداية المخاض وعلى القارئ أن يعطي التجربة العمق الجديد الذي تحرك بين ضلوعه عندما طالع النص وطابق الرؤية بالانفعال .

إن الرمز في الشعر أصبح أحد أمراض الفكر المعاصر مقصود لذاته ومطلوباً بمواصفاته، مأخوذاً من بطون الكتب بدقة، ومرصوداً من قلب المعاجم بحصافة - صنعة قد لا تتوفر إلا لقلّة ابتدعت هذا النمط في الشعر .  
ولذلك تخرج القصيدة تحمل تجربة ذاتية للشاعر، تحمل بصماته وتوقعه على ذيل الصفحة، وأكثر من ذلك بعيدة عن تناول القارئ الذي طوى الصحيفة ونسي محتواها .

لقد اجتاحت الشعر موجة من الغموض، الغموض من أجل الغموض، حتى أصاب اليأس قلوب القراء رغم محاولاتهم الجادة للبحث والاستقراء، أصبحت القصيدة تطرح للقارئ ألف مغزى، في كل شطرة هزة نفسية تستمر لثواني هي الوقت الذي يتابع بعيونه سطور القصيدة، فيموت فيه الطموح لمحاولة ماهو أصعب، ويتساءل متى أفهم؟ متى أفهم؟ ويسبر الشعراء أن هذه ممارسة مرحلية ضرورية فرضتها ظروف التعقيد التي طرأت على الحياة وعلى نفسية الشاعر وأدوات التعبير، أليس مهمة الشاعر استيعاب ثم تذليل هذه الصعاب أم أنه افتقار للوعي بنفسية المجتمع في الأساس؟

لقد اتخذ الشعر في الآونة الأخيرة شكلا صور الواقع بلون ضبابي قائم وان كان الواقع كذلك، فليس ذلك نتيجة وعي لممارسة ذلك الواقع وإنما محاولة استيراد مواد خام تصنع منها مادة الشعر حتى أصبح لنا رصيد هائل من هذه القوالب الجاهزة، يمكن أن تسمى بتيار الشعر الغامض أو الغموض الشعري .

لم يكن هذا إلا مظهرا خارجيا لسطحية فهمنا للحضارة الأوروبية التي أعطينا القشور بكل مباهجها ولم تعطنا الفرصة لمعايشة التجربة ومعاناة الممارسة فوصلتنا عبر كل المحيطات شتى ألوان المخطوطات في شتى مجالات الحياة، الشعر، الغناء، الملابس، المأكولات، تصفيف الشعر، وفوجئنا بأخلاق جديدة اكتسبت أورا منها اختبار التجربة بصدق المعايشة، ولذة التوتر وقدرة الاختبار ووصلتنا نحن النتائج، ولم نعش تجربة التحول، فبدأنا من حيث انتهت أورا والآن نواجه أزمة، بكل الصدق والأصالة التي تفرضها أمانة البحث في جذور الأزمة . فعلينا أن نختر بين الانسياق الجبري وراء التيار، أو العزلة المدركة لخطورة التيار ولكن لا خيار لمن لا يختار، فقد اختار جيلنا الانسياق الجبري وراء التيار، وكثر عدد الضحايا وليس في وسع مجتمعنا المتخلف النامي تقديم تضحيات أخرى . فالأفضل أن نختر العزلة الواعية، لا خوفا من الحديد ولا محاربة للتطور، فالتطور كالظل لا تشعر به إلا وأنت تقف عليه فلا يمكن أن تحاربه وأنت واقف في مكانك ولا يمكن أن ترجع إلى الخلف فيطوقك ولا يمكن أن تجري إلى الأمام فسيلاحقك، ولكن يمكن من موقفك أن تفتح فقط الكوى المضيئة التي تحمل الشموس المشرقة

من حضارات أوروبا، وتقف الأبواب المتآكلة التي تدخل منها رياح التغيير المدمر. علينا أن ندرك أن مجتمعنا المتخلف، الغافل في جهله، اللاهث خلف سراب الدجل والخرافة يجب أن يتخطى مراحل التطور خطوة إثر خطوة فالقفزة مخاطرة لا يحتملها مجتمع يعيش بعض أبنائه في أرقى بلاد أوروبا ويعيش أبائهم في أقصى مجاهل إفريقيا، لنقرب الشقة في داخل المجتمع بين الفتاة العاملة في المدينة التي ترتدي الشارلستون، وأمها الجاهلة في القرية التي تخاف من جهاز التلفزيون وتستعيز بالله من الأشباح التي تتحرك بداخله.

أخيرا أليس الشعر تعبيرا عن كل هذه التناقضات؟

وفي النهاية أود أن أتجاسر من هذا المنبر دفاعا عن قضية الشعر فأقول أن ركود الحركة الأدبية وموات النهضة الشعرية الرائعة التي شهدتها النصف الأول من القرن العشرين في بلادنا يرجع إلى الشطط والمغالاة في نقل كل ما هو مستورد شكلا ومضمونا في قضية الشعر الحديث.

إنني أكره أن أرى اليوم الذي تعود فيه عقارب الساعة للوراء، ولكنني أرى بؤادر التوقف عن السير في هذا الاتجاه، فلتكن وقفة تأمل، ولحظة مراجعة، وإذا أريد للشعر أن يؤدي رسالته ويلتصق بوجدان الذين نكتب لهم فمزيدا من الوضوح دون الاسفاف وقليلًا من الرموز إلى حد الاجحاف ولنشجب الغموض في الشعر...

المؤلف

## «خواطر غريب في لندن»

ودّع همومك إذ تودع لندننا  
وارحل إلى السودان قلباً آمناً  
واترك على أرض المطار بطاقة  
اكتب عليها بئس ذكرانا هنا  
إن تذكرونا اذكروا أحزاننا  
ستظل أبد الدهر جرحاً كامناً  
كم مرة راودت نفسي قائلاً :  
العود أحمد . . فليكن مستحسننا ويعود  
يشينيني الرفاق فأنشني  
يا ليتني فارقتها . . متيقنا  
وقصدت دار الأهل حيث أحبتي  
اخوان صدق بالقناعة والغنا  
فليعلم الجيل الجديد كفاحنا  
ولينثني ان كان يقصد لندننا  
ويبارك السودان في ساحاته  
بلداً كريماً آمناً . . ومطمئناً  
ان لم تحس الفقد في جدراننا  
فالفقد أعظم حين تسكن لندننا  
وتعيش أيام الشتاء عصبية

وترى جهادك في جلیده أرعنا  
في شقة مجهولة.. مهجورة  
لا يدخل الحشرات ضوء أو سنا  
كنت بالسودان عطراً فائحاً  
ملاً الوجود نضارة لن تقتنى  
أهفو إلى دفء الحياة يضميني  
ويعيدني وجهاً صغيراً فاتناً  
هتك الوشاح فصفقت وترنحت  
أجواؤه عقباً فطار ودندنا  
واليوم ضاعت في الزحام بطاقتي  
وبقيت أسأل من أكون؟ ومن أنا؟  
أكل الضياع نضارتي وبشاشتي  
وبقيت في الطرقات كهلاً ظاعنا  
أستقبل الساعات نصف مخدر  
لا راحلاً عنهم ولا مستوطناً  
أنفقت أجمل ذكرياتي شاكياً  
وقضيت أحلى أمسياتي لاعناً  
وفقدت نفسي بين قوم همهم  
قوت الحياة فما أذل واذعنا  
يتسابقون اليوم منذ شروقه  
حتى غروب الشمس حرباً طاحناً

سحقت مشاعرهم ضروب حضارة  
صارت جنونا مزمناً متمكناً  
وتحولوا تمثال صخر صامت  
هيهات ينطق أو يحرك ساكناً  
أنفقت أيامي هنا متنقلاً  
أشكو ضياع النازحين المحزنا  
أشكو سواد اللون بعض جريمتي  
أشكو جفاف الشعر أجعد داكنا  
يكفيك بؤساً أن تكون مهاجراً  
يكفيك سخطاً أن تكون ملوناً  
أم الكبائر أن تقول لصاحب الـ..  
بيت المؤجر « إن أطفالي هنا »  
ستظل أبداً ضائعاً ومشرداً  
وتضيع قطعاً لن تلاقي مسكناً  
فالقط أجدر بالرعاية والرضا  
والكلب أولى بالأمومة والهنا  
والطفل أكبر سبه وجريمة  
إن كان .. حياً في حماك وكائناً  
فاحذر عيون الساكنين ولذبه  
إن كان اخفاء الجريمة ممكناً  
إنني لأعجب من حضارة أمة

لم تبني من أجل الطفولة مسكنا  
كلا ولم ترع الجوار لطاعن  
في السن هداه الزمان فانحنى  
لا.. لن أخط هنا رحال مسافر  
حتى أبارح ذات يوم لندنا  
لله درك يا بلادي فاسلمي  
ما أجمل « الخرطوم » عند المنحنى  
أتأمل النيل العظيم قصيدة  
تنساب في ضوء النجوم ملاحنا  
لن أرهب الليل الطويل لينجلي  
أو أرقب الصبح الجديد مؤذناً  
تمشي الحياة بنا كأن خطوطها  
مقرؤة في الكف رزقاً آمناً  
والناس في عيش الكفاف تخالهم  
في نزع الصوفي قلباً آمناً  
يستقبلون الضيف في خلواتهم  
ويقدمون المستحيل الممكنا  
ما أروع السودان دار أحبتي  
فمتى أعود إلى الديار موطننا  
عشق التراب فثال من ذراته  
فرحاً بها.. متهللاً.. متيميناً

ما بارح السودان عين خياله  
مذ بارح السودان يوماً محزناً  
ونزيفنا ما كف عن جريانه  
وضياعنا تزداد حدته ضنى  
قد جئت كالطفل الصغير وداعة  
وأعود كالشبح الهزيل محصناً  
كالفارس المكسور سيفه عائداً  
مستوثقا من نصره ومراهناً  
سأظل أبكي غربتي و كآبتي  
أبدأ وألعن كل يوم لندنا

سبتمبر 1970

## « جمال عبد الناصر »

يا ليتني حضرت نعشه بالقاهرة  
مشيت في جنازة الشهيد  
ضحية المؤامرة  
في محنة قد جمعت أطرافنا المتنافرة  
لكنها قد أصبحت مأساتنا المعاصرة  
لو أنني خرجت في مظاهرة  
سقطت وسط موكب الوداع دمعة مهاجرة  
للراحل العزيز .. للأب الكبير  
رب أسرة القتيل والأسير  
في لحظة حزينة وعابرة  
قد أصبحت لاجئة.. وقاصرة  
يا ليتني هناك جاءني النبأ  
في لحظة الصراخ حين الشارع امتلأ  
في لحظة الضياع حين « البرج بالجزيرة » انكفأ  
والضوء في العيون انطفأ  
اهلت فوق هامتي التراب  
مزقت ياقة القميص في مرارة الأسى  
استطلع (التلفاز) في الصباح والمساء ..  
غرقت في دوامة الضياع والعدم ..  
تغوص تحت أضلعي سكينه الألم

في وحدتي تخنقني أظافر الندم  
في غربتي في (لندن) المغامرة  
فقدت روعة الشعور بالمشاطرة  
ابتلعت في جوفها صرخاتي المكررة  
بللت بالدموع نضرة التراب .. غيمة مسافرة  
في سوريا .. في القدس .. في السودان .. أو القاهرة  
في ليلة شتوية وباردة  
أتابع الأخبار عن حقيقة المؤامرة  
وحدة القتال في (عمان) والمواقع المجاورة  
في (الأردن) المدينة الخصيبة  
قد لطخت شاراتنا الحبيبة  
وذبحت أطفالنا الصغار  
وقتل جنودنا الكبار  
من قبل أن يحرروا شبرين فوق أرضنا السلبية  
استشهدوا في ساحة العروبة  
يا عارنا الجديد .. والمصيبة  
وتوجت قتالها الشرير للرجال  
بأعظم الشهداء والأبطال  
في القدس .. في سيناء والقنال  
وعندما تجدد القتال  
في غير موقع القتال والنضال  
فارقنا (جمال)

ودعنا في ساعة السلام  
نعيش في الحداد ألف عام  
ويسقط المناضل الوحيد  
وتفلت الحروف من يدي ويهرب القصيد  
في طليقة طائشة وغادرة  
انطلقت من موقع المؤامرة  
ما أقصر الحديث . . كلمتان  
(جمال مات) ???  
انزلت كالنار في اللسان  
وظفرت في الخد دمعتان  
ولم أعد أرى في الغيم والدخان  
أصابني الدوار والغثيان  
وعندما أفقت من غيبوبة الأحزان  
تغيرت معالم الأشياء والمكان  
ولم أصدق النبأ  
(جمال) لن يموت  
في لحظة الأحزان والسكوت  
في (لندن) المخبوءة الأسوار والبيوت  
في (لندن) المأهولة الأحياء بالسكان  
تعيش بدء الكون والزمان  
تحس عبء الفقد للإنسان  
يا ليتني حضرت دفء لحظة الوداع

مواكب البسطاء والضعفاء والجياح  
يسافرون رحلة الظلام في شراع  
يصارعون حدة الشعور بالضياع  
(جمال) يا أسطورة في الشرق يا جمال  
يا قصة البطولة الطويلة النضال  
« السد » في أسوان والصمود في القتال  
كتبت آخر الحروف في سطورها الطوال  
أسطورة في الشرق للأجيال  
وبعد.. لن تموت يا جمال  
تعود بعد كل صرخة حزينة.. (تعال؟؟)  
تطوف فوق كل خيمة تقول يا (جمال)  
وأروع الكلام في الحديث كلمة..  
محبوسة في الصدر لن تقال  
يا حبنا النبيل  
وكنت قد عاهدتنا  
وكنت قد وعدتنا  
وبعد أن وجدتنا.. في التيه لا نرى سبيل  
وعدتنا البقاء في ديارنا طويل  
منارة جميلة في شرقنا الجميل  
والآن قد تركتنا.. أحزاناً تجددت.. وزدتنا قتيل  
ودعتنا في الفجر قبل موعد الرحيل  
يا ضوءنا في الليل.. في ضلامنا (ظلامنا) الطويل

تركنا في الليل أشقياء  
أيتام في الخيام والعراء  
نموت بالنواح والبكاء  
وعندما يقتلنا النواح  
وعندما تجف في حلوقنا حناجر الصياح  
ننكفيء في الطريق حتى يصبح الصباح  
فينكأ الألام والجراح  
نحوم حول (قصر القبة) الخضراء  
نستقبل النهار بالدموع والبكاء  
فلم يعد للشرق غير الحزن والبكاء  
الحزن للصغار للأطفال للنساء  
والخوف للأيتام في الخيام والعراء  
يا قبلة الشعوب يا مدينة الرجاء  
يا آخر الحصاد في سنيننا العجفاء  
تحطمت صوامع العطاء  
جراحنا تجددت وزدتنا جريح  
وكنتم في تاريخنا الإنجيل والمسيح  
أصبحت في حياتنا القربان والذبيح  
أصبحت يا جمال - في بلادنا ضريح

لندن - أكتوبر 1970

## ( رسالة تحت مظلة الجليد )

في مطار لندن

في لحظة تداعى حر...

انسابت عفو الخاطر.. في ليلة

عيد ميلاد المسيح

( بطاقة معايدة )

سنة مضت

وهناك أخرى قبلها مرّت

وأخرى في الطريق

الليل طال

ولم أزل سهران أستجلي

الشروق

أتذكر الوجه الذي قد كان

يومض بالبريق

في هالة الضوء المثير ودفقة

العطر الهريق

شابت على أكتافه الأيام من

هول الحريق

وطني .. صدى وترى ..

وقيثاري الرقيق

لا أهل .. لا جيران .. حولي

لا صديق

إلا رسائلكم .. إلي .. بطاقة

الشعر الرقيق ...

أتكيء فوق حروفها

وأضمها نحوي فتهدأ أنه

الجرح العميق

وتضمني طفلاً .. وحيداً ..

ضاع في وادٍ سحيق

## ( تذكّار )

قد كنت أحسب أن بالنسيان  
نجتاز المحن  
فوجدت أصدق ما يشد المرء  
حبه للوطن  
قد لفه وهج الحنين وتاه في  
دنيا الشجن  
جنحت به صور الخيال فقال  
شعراً في دمن  
و ازداد في ترحاله شوقاً  
وما عشق السكن  
يطوي صحاري شوقه الباكي  
الى ارض الوطن  
ونظّل في صمت هنا.. وتدور  
عجلات الزمن

## ( ليلة عيد الميلاد )

أتذكر الوطن البعيد  
وأنا أشد ركائبي .. وأردد  
النغم الوحيد  
يمت وجهي شطره في ليلة  
العيد السعيد  
لهني إليه معلقاً .. نجماً ..  
شمالياً .. بعيد  
كحروف أغنيةٍ مجنحة  
وبيتٍ من قصيد .  
كقطوف داليةٍ مرنحة .. على  
ريح الصعيد  
يا دفء شوقي عندما نستقبل  
العام الجديد  
وأطل من شرفاته .. وجهاً  
طفولياً وليد  
وتظل خطواتي هنا .. أثراً  
على سطح الجليد

## ( أحزان المنفى )

حزني كحزن الملك المنفي في  
بلد صديق  
يلهو بكل متاعه .. وروائع  
القصر الأنيق  
ويموج في أرجائه ألقا ..  
ربيعاً .. رشيق  
لكنه في سره يهفو إلى الماضي  
العتيق  
أنفقت أيامي هنا .. في  
الصمت في بحر عميق  
تتحرك الشيطان في عيني معلقة  
على أفق سحيق  
ما عدت أذكر كم قطعت من  
المضيق إلى المضيق  
نصفي على سطح الماء يؤازر  
النصف الغريق  
في لحظة تتعانق الأيدي ..  
وتظفر دمعتان

لحظائنا عند الوداع تمر .. لمحا ..  
لمحاً .. في ثوان ..  
لم يبق إلا وعدكم .. لا خلف  
فيه لا امتنان  
وعد الغريب العائد الباكي  
على صدر الزمان  
فاحمل جراحك يا غريب النفس  
وارحل في أمان  
وإذا بكت دعها .. فإن الأرض  
ما زالت دخان  
لن يبصر الغريب صور الدار  
أو وجه المكان  
يترنحون فنلتقي ونقول  
قد فات الأوان  
فات الأوان  
للحزن طعم الملح في طرف اللسان

## ( صور القرية )

سنة مضت  
وهناك أخرى قبلها مرّت  
وأخرى في الطريق  
وطني .. أتذكرني أنا ..  
هيهات تنفعني الذكر  
أشتاق (للحوش) الكبير  
وجلسة تحت القمر  
نحتر أطراف الحديث  
نعيد لحظات السمر  
نحكي عن الماضي البعيد  
وعن حكايات الصغر  
نشتم رائحة (الدعاش) تقود  
قطرات المطر  
ونرى النجوم تغازل السحب  
الكثيفة في خفر

ليل في بلدي عيون لا يؤرقها سهر  
وهنا تنام مدينتي منذ المغيب من الضجر  
خلت الشوارع والدروب وغادر  
الطير الشجر  
والناس تحت مواقد النيران  
ميتة الفكر  
قد ضقت ذرعا بالضباب  
غمامة فوق البصر  
غطى المدينة حلة سوداء لم  
تترك أثر  
والرياح تعوي والجليد قضى  
على أحلى الصور  
وبقيت نجماً.. ضائعاً..  
قد تاه في وقت السحر

## ( خواطر الغريب )

سنة مضت  
وهناك أخرى قبلها مرّت  
وأخرى في الطريق  
قد جئت في يوم كوجه الطفل  
في حلم مخيف  
ودخلت تحت مظلة سوداء  
كالظل الوريث  
والمعطف المغروز في جسدي  
كأحزان الضعيف  
ما زلت تحت غطاءه منذ جئت  
في ليل عنيف  
أختزن في صدري حرارة ذلك  
البلد الأليف  
للشمس دفء مواقد تشتعل  
في وهج عنيف  
حلم لأجساد هنا رقدت على  
رمل المصيف  
تهفو إلى شمس الضحى  
تعتصر ملمسها اللطيف  
ما زلت تحت عباءتي وجوارب  
الصوف الكثيف  
ننتقل من برد الشتاء إلى  
أعاصير الخريف

## ( حديث المدينة )

سنة مضت

وهناك أخرى قبلها مرت

وأخرى في الطريق

قد قال لي بعض الصحاب

غداً ستسيك السنين

وغداً ستعشق (لندن) الشقراء

ساحرة العيون

وتتبه في ساحات (بيكاديللي)

وأضواء النيون

وروائع (الطرف الأغر) تشير

في النفس الشجون

وأقول رفقا إخوتي لو تعلمون

قد ذقت كل حلاوة ومزجت

بالصخب السكون

وشهدت (لندن) في هزيع الليل

ترقص في جنون  
جنية ملتهبة الشهوات تصرخ  
في مجون  
والناس في أحضانها  
يتساقطون  
يتميلون . . ويرقصون  
يستقرون الليل في حاناتها  
طرباً ولا يتوقفون  
والله لم يهدأ لهيب الشوق  
أو نار الحنين  
في ظلمة الليل الرهيب يجيئني  
نور اليقين  
صوتاً ينادي : لا تخف يا أيها  
القمر الحزين

## « حلم العودة »

وهناك أخرى قبلها مرت  
وأخرى في الطريق  
أنتظر أخبار البريد تجيء  
تحمل لي خطاب  
سلوأي حرف واعد يكتبه لي  
أحد الصحاب  
في بدء كل رسالة تنهال كلمات  
العتاب ..  
« و طال الغياب  
ومتى تعود؟  
والشوق يطرق كل باب »  
وكأن كل رسالة في الأصل  
تذكرة الأياب  
ما غيرتني نعمة المولى ولا سعة  
الرحاب  
إذ بدلت قدرتي الذي علقت به  
صور العذاب  
ماذا أقول ؟  
ودعت قافلة الشقاء و عشت في

ظل ظليل  
وتفتّح الزهر الذي قتلتته رياح  
الذبول  
وجمعت أطرافني على دفة  
المواقد كل ليل  
مسترخيا ما هممني .. الليل  
يقصر أم يطول  
لكني رغم الذي ما فيه أحلم  
بالرحيل  
يقطع العيش المنعم زاد  
مشواري الطويل  
ما زلت رغم بشاشة الأطفال  
أزهار الحقول  
كفى على قلبي وميعاد الوصول  
ميعادنا في الصيف حين  
الشمس ترحل في أفول  
تتواعد الغيمات باكية وتمتزج  
الفصول  
فلننتظر .. عيناى مصباحان  
في الليل الطويل  
ولننتظر ولنحترق في ذات

نار الانتظار  
ما أصدق الوعد الذي جمع  
الأحبة في الديار  
منديلنا أغرورقت أطرافه  
دمعاً .. وطار  
ورسالتني شوق الغريب تطير  
تجتاز البحار  
كلمات صدق عندما ولدت  
تلقفها النهار  
فحملتها رغم الجليد يكاد  
يبتلع المطار  
للاخوة المتوجهين .. العاندين  
إلى الديار  
ما أصدق الكلمات في أرض  
المطار  
عفواً تجيء .. من القرار ..  
إلى القرار  
سنة مضت  
وهناك أخرى قبلها مرت  
وأخرى في انتظار

مارس 1972

## « رقصة جوليانا »

لا تقتربي . . لا تقتربي  
يا ذات القرط المضطرب  
أقراطك تعزف في أذني  
موسيقى حاملة الطرب  
يا ذات العينين الساحرتين  
الراحتين مع السحب  
يا ذات الشفتين المورقتين  
كعنقودين من العنب  
يا همس الدالية السكرى  
تترنح كالغصن الرطب  
تتراقص . . تخضن في شوق  
خصللاتك . . والشعر الذهبي  
أهواك . . أحبك راقصة  
كجناح فراشات زغب  
فستانك هدهد أعصابي

ترتاح عليه من التعب  
والجاز الصاحب ذوبنا  
في حر طبول كاللهب  
وشموع الصالة.. تتدلى  
تتألق.. فينا كالشهب  
ورقصنا.. طالت رقصتنا  
وسقطنا من فرط الصخب  
قد ضاع الليل وما زالت  
موسيقى الجاز المتهب  
كالخمر تدور معتقة  
في كأس الصحو المنسكب  
ودعنا عاما.. وسقطنا  
في حضن العام المرتقب  
يا عام الحزن تطالعنا  
لحظات فراق مكتئب  
والعالم يرقص من حولي

وعروقي تنبح بالغضب  
أتركنا.. دعنا.. اقتربي  
يا نشوة عمري.. اقتربي  
لم تبق سوى بضع ثوان  
والفجر يطل.. فيا عجبي  
يا قصة حب لو كتبت  
امتألت آلاف الكتب  
يا أحلى وجه في عمري  
لن يعلم أحد من صحبي  
بحر الأشواق ومجدافي  
في عمق الموج المضطرب  
أهديك مقاطع أغنية  
أهديك أساور من ذهب

اكتوبر 1972م

## ( وقفة عند قبر أبي )

كان صباحا .. داكن السحنة .. غطاء الضباب  
لم أتم في الليل ..

نبضي مثل حبات جليد ..

مثل نقر أصابع في صدر باب

كانت الساعة في الحائط .. أجراس كنائس

قرع طبل .. أتيا من قلب غاب

كان كل الليل أسئلة

تطوف بخاطري .. حيرى .. ولا تلقى جواب

لم أكن أعرف أن الحزن ..

لو ضلت خطاه إلى ضحيته .. سينتظر المآب

كان شيئاً غامضاً يوحي بأن غداً

سيحمل في حناياه .. مصاب

عندما بدأت خيوط الفجر .. تتدلى

كمسبحة .. معلقة على صدر كتاب

جاءني الخبر الذي ما كنت أرصد نجمه

المخبوء من خلف حجاب

برقية .. سادية الكلمات .. شاحبة الحروف

على الأصابع بالحساب  
« أحسن الله عزاءك .. مات والدك . ووري التراب »  
وشعرت أن النبض يضعف في سراييني  
وضوء الفجر غاب  
ولمست أجنحتي .. لتحملني .. أطير بها إلى الأرض الخراب  
فسندت ظهري .. لم أصدق ..  
كان حلما .. كان رؤيا .. كان شيئاً كالضباب  
كنت أقسم أن أشد على يديه مودعاً  
لو أذنت شمس المغيب  
وجاء أجله في الكتاب  
ما زال في ظني فراق الوالدين أشد أنواع العقاب  
قد كان .. ودعني ... وأوصاني .. وأجهش ..  
عندما عانقته وقت الذهاب  
قد كان يهمس لي .. يذكرني يقول:  
« ان الله ما شق حنكا ضيعه »  
فلتلتفت للعلم في كل الرحاب  
وأحمل هموم الزوج والأطفال .. دعني ها هنا  
وغداً ستلقاني - بإذن الله - موفور الشباب

مازلت أذكر رنة الكلمات .. في أذني .. لها نبض ووقع وانسياب  
قد تجاوز السبعين لم يذهب إلى العراف أو يفتح كتاب  
ما كان يرضى أن يساق إلى طبيب عندما يشكو  
ويكره أن يعالج .. بالمحاية .. والحجاب  
وأنا الطبيب .. خرجت من صلب الفقيد  
وشاءت الأقدار تحرمني وداعه يوم غاب  
وفقدت أجر علاجه  
وبقي رضاؤه عني .. وعفوه لي ثواب  
لكن شهر الحزن في بريطانيا  
كالقرن .. لو قيست لياليه بلحظات العذاب  
وفقدته .. وفقدت يوم وفاته دفء المودة والثقة  
روح السمود تدور في فلك الحياة المشرقة  
وفقدت في وسط الزحام .. صفاء روح صادقة  
قد أوقدت كل الشموس .. ولم تعد متألقة  
وورثت من أخلاقه روح المروءة .. مطلقة  
سبقت بها نفسي الحزينة .. قلقه .. وممزقة  
بشجاعة القلب الذي يفنى .. ليفدي منطقته  
ويناطح الأقدار كي تبقى المنارة سامقة

ويغوص في عمق البحار إلى شواطئ مورقة  
يمشي على جمر الحقيقة في صخور محرقة  
يقضي حياته في الكفاف وفي أشد الضائقة  
عف اليمين فلا يمس غنائم المسترزقة  
كالسيف يبقى وحده.. عن حفنة متسلقة  
انموذجاً للكبرياء.. وصورة فوق الجدار معلقة  
ستظل نادرة المثال.. وبالمعاني ناطقة  
عيناه راصدتان خطواتي تتابع في الطريق مزالقة  
كلماته كالشوك في الكف إذا امتدت لشي سارقة  
وتشدني لو رغبة خففت بقلبي في لقاء معانقة  
أو ديدن الكأس الطروب عذوبة متدفقة  
قد كان صباحاً.. داكن الغيمات عطشي.. خانقة  
قد أثقلت عيني.. ولم تترك أمامي بارقة  
تركت على جفني دموع الغربة. المغرورة  
زوجي وأطفالي شتات جزيرة.. معزولة.. متفرقة  
قذفت بها الأمواج بضع متاع مركبة الضياع الغارقة  
فالخزن في بريطانيا.. كالسجن.. في زنزانة.. فردية ومطرقة

مارس 1973

## « المضيئة »

تهدهدني أناملك اللطيفة  
وبسمتك المحببة الظريفة  
وصوتك ناعماً ينساب دفتاً  
يبدد كل أوهام مخيفة  
ينادينني المسافر في جوارى  
ويقطع حبل أفكارى العفيفة  
تبسم ثم حرك حاجبيه  
فلم تنطق وقد كانت كسوفة  
وأعجب من تعلقه الجنوني  
كقيس تاه في عشق الوصيفة  
حلاوة وجهك الغض الطفولي  
كغصن الكرز قد أدنى قطوفه  
وتخجل حين تسألها سؤالاً  
وتمسك حبكة الشال الخفيفة  
وتتثنى .. وتتهادى .. وتمشي

نتابعها بأنفاس عنيفة  
نعومة جسدها وتلال نهدي  
تنوء بحملها خصر النحيفه  
وترفع حاجباً وتشد رمشا  
كما تتدل القطط الأليفه  
دلالك يا معذبتني حجم  
كفى ناراً مولاتي العطوفه  
وعنقك حين طالعنا.. غزال  
يطاول غصن غابته الكثيفه  
وعيناك التي نامت نهراً  
على أحلى وسادات القطيفه  
ملاك الجو.. سيدة العذارى  
ومقطع كل أغنية خفيفه  
وجدتك في لسان الناس نغمأ  
وشعراً تنشد الدنيا حروفه  
أنا الضيف الذي ألقى رحاله

وغير قدره .. وأبى ظروفه  
عزائي إنني ضيف عجول  
يقول الشعر في أحلى مضيفه  
ولولا حسنك الجبار قطعاً  
لهجر الشعر واعتزل الوظيفة  
نسى الدنيا وحلق في سماء  
بأجنحة الملائكة الرهيفة  
وتاه .. وذاب .. وجدانا وحسا  
ليرصد رعشة الخصل الوريفه  
عروس الطائر الميمون تيهي  
وزيدي في دلالك .. يا ظريفه

يناير 1974

## « رسالة الى بولين في عيد الميلاد »

شكراً بولين

شكراً سيدتي الشقراء

شكراً لبطاقتك الخضراء

جاءت في ذات الميعاد

و أنا أتذكر نفس الأشياء

و أفض بطاقات الأعياد

أتذكر يوماً ذات مساء

في العام الماضي ..

يوم تلاقينا بالصدفة في غرفة «ايلين»

في حضان «التايمز» باقة ياسمين

قالت ايلين :

حسناً . . سأعرفك بصاحبتي بولين

وجلسنا رغم الإرهاق

وقضينا أجمل لحظات غمرتنا أحلى أشواق

لم نترك إلا كلمات ترقد ما بين الأوراق

تذكار زيارتنا « للتايمز » .. قد كانت أعلى ميثاق  
ما زالت تهمس في أذني .. شلال الشوق الدفاق  
وحكايا غرفة ايلين .. اسطورة كوخ العشاق  
قد ماتت همسا وعناق  
الوعد العالق في صدري .. كالنجم الضائع في الافاق  
والشوق اللاهث في شفتي تفضحه تلك الأحداق  
وتفارقنا كي نتلاقى .. الصيف القادم في باريس  
وتلاقينا في باريس  
قد قلنا حسنا: لن نمكث أكثر من أسبوع  
والرحلة طالت - في ظني - أكثر من برنامجنا المطبوع  
شكراً بولين  
يا أسطورة نهر «السين»  
فلتنسي موعدنا في باريس  
ولنحرق كل رسائلنا .. فأنا واجهت مصيري  
ما كانت غير هواجسنا في ذاك الليل المخمور  
أسطورة شاب مغترب في أرض الحب الأسطوري

لم تلمس قلبي وشعوري  
قد تركت بعض الآثار  
قد نقشت في قلبي تذكّار  
وبقايا شيء محترق يتدفق في دفء الأشعار  
وحكاية رجل أفريقي  
يعشق حسناوات أوروبا  
وتفور عروقي كالنتين  
في شهر حزيران  
في ساحة «ميدان الكونكوردي»  
في يوم الحادي والعشرين  
لكنني تجاوزت الثلاثين  
ماذا يجدي عشق الذات؟  
تفصلنا تلك السنوات  
جمعتنا أحلى الأوقات  
في أحد دهاليز «اللوافر»  
نتحدث عن أحد اللوحات

نتأمل عمق الموناليزا.. وأنامل ليوناردو  
تتفجر ألوانا زيتية  
تملأ جدران الصالات  
ما أجمل تلك اللحظات  
فلننس الماضي فلننس تلك السنوات  
فأنا من بلد لا يغفر عشق الاثنين  
لا يعرف معنى أن نعشق بعد الثلاثين  
أكثر من هذا تفصلنا أم الطفلين  
فلننس دعنا لا نذكر بعد الحين  
يوم تلاقينا في رحلتنا عبر «السين»  
لا أملك إلا أن أخلع  
قبعتي منحنيا  
شكراً بولين - شكراً بولين

يونيو 1974

## (بطاقة ضائعة)

للحسن في عيني بريق .. لا يموت .. ولا يزول  
للنغمة المعسولة الإيقاع في أذني أجراس وإيقاع طبول  
للوحة .. زهرات القرنفل .. واحة الياسمين حسناء الفصول  
ألق .. يرش العطر .. في «اللوتس» تتحدى الزبول  
للبسمة العذراء وهج البرق ينذر بالهطول  
الغيمة الزرقاء سحت فوق غاباتي وأغرقت السهول  
للكبرياء .. غريزة الطاووس صال وجال في عرض وطول  
ضاعت بطاقتك التي حملت هويتك المشيرة للفضول  
وبقي لنا عطر الأنامل .. في حروف سطرت مأساة جيل  
أشتمه في السطر .. في الكفين .. في الورق السماوي الجميل  
في كلمة همست بها شفة .. ولم تجد الوصول  
في الأحرف التي حفرت على جدران حائطك الطويل  
صوراً تطل على بحار الصحو .. في الشط الجميل  
كالريح .. تسرق نشوة المخمور في ظل ظليل  
وبقي لنا التذكار .. أحلى من نسيمات الأصيل

في البدء حاولت الحديث .. فأفلت الحرف الجميل  
وجلست اصطاد القصيد .. ففاض نبع السلسيل  
كراستي .. ودفاتري .. والحبر من قلمي يسيل  
والشعر أغمد في ضلوع الموج مجداف الرحيل  
فاتت مواعيدي .. وطال الانتظار، أصابني مرض الدهول  
شجبت رباباتي .. وبعث نغمة الوتر الهزيل  
ما عدت أدري ما أريد .. ولست أعرف ما أقول  
قد ضاع صندوق البريد .. وتاه رقمك في الدليل

يونيو 1974

## (خمس صفحات) (من مفكرة أيلول) (1)

عبروا القناة على جبال الكبرياء  
وتساقطوا شهباً هوت في الماء من جوف الفضاء  
لم يدرك الأعداء من أين انطلقنا  
كيف جئنا..  
أي درب ساقنا ذاك المساء  
وتفرقوا في لحظة  
وانفض سامرهم.. وانهار البناء  
وتبدد الشمل القديم كأن لم يجمعهم يوماً ولاء  
هجرنا الخيام  
«وخط بارليف» الذي صنعه من أعلى دماء  
لم يبق غير مشوهي الحرب القديمة والنساء  
ذاقوا حزيران الجديد.. وكرروا  
أسطورة المتحاربين الهارين.. بلا بنادق.. أو حذاء  
عرفوا مرارة رفع أيديهم وراء رؤوسهم  
ومذلة التسليم بعد الانحناء  
وشراسة العربي حين تفور في شريانه

روح لأخذ الثأر .. أو سفك الدماء  
من كان يحلم أن يرش مواقع الثوار نور أو ضياء  
من كان يحلم أن تعانق هضبة الجولان .. شرفات السماء  
من كان يحلم ان يسوق الفجر للصحراء حزمة انبياء  
يترقبون الليل تحت خيامهم ..  
وعلى الزناد .. أصابع تصطك من برد الشتاء  
من كان يحلم أن يعود الميتون الى الحياة .. من الفناء  
جيلا فدائيا .. وباقة أولياء  
بينون من حجر المقابر قبة  
ومدينة كبرى تبشر باللقاء  
كل الخطوط تفجرت لها .. تصاعد في الحدود .. بلا انتهاء  
كل المدائن تشتهي التسليم للثوار .. شرف الانتماء  
وشراسة العربي حين تفور في شريانه  
روح لأخذ الثأر .. أو سفك الدماء  
كل المعارك يضع ضوء شرارة ولدت .. ونقطة ابتداء  
يهتر تحت القصف خط بارليف  
صك الذل في صدر الاماء  
بارليف .. يا وهماً سيبقى عالقا في قلب سيناء القديمة موميا  
لم تبق غير القدس .. تنظر لهفة للعائدين لها .. وتجزل في العطاء  
كتبوا بطاقتهم ورقم كتيبة .. رفعت على الوديان ألوية الفداء

تركوا هنا بصماتهم مكتوبة .. فوق الجدار  
إلى اللقاء .. إلى اللقاء

## (2)

آه .. لو عندي مصباح علاء الدين  
لنحت لكم أنموذج طين  
غيرت خطوط الهدنة في غمضة عين  
ورسمت حدود فلسطين  
وجعلت مقر الأمم المتحدة .. «دير ياسين»  
وكتبت على واجهة الأنموذج:  
«أيلول بلا ألوان»  
من يفلت من قبضة أيلول ... ستلحقه لعنة رمضان  
وخلعت قناعي الأسود .. بضع ثوان  
ليصير العالم في نظري .. لونين  
أبيض ... أحمر  
الأبيض شارة سلم دامية الطرفين  
كاذبة تتلوى مثل عصاة الدجالين  
والأحمر قطرة دم سالت بين الفخذين  
من جرح البكر المطعونة بين النهدين  
اغتصبوها تحت الليل .. ولم تعرف وجه الشبحين  
أستار الظلمة قد غطت وجه الأبوين  
والدها يبرم شاربه المفتول كأعشاب الحنطة  
يتجول في الأمم المتحدة تحرسه عشرات الشرطة  
يستجدي أصوات بلاد .. لا يعرف موقعها في الخرطة

يترنح طرباً فالبترو ل يرجح ميزان السلطة  
ويحيل الفيل الى قطة

(3)

أه . . لو عندي مصباح علاء الدين  
أو عندي بضع ملايين  
لذهبت مع وفد المؤتمرين  
في قلب جنيف  
وحضرت هنالك أولى الجلسات  
لأبدل كل الكلمات  
وأصوغ الألفاظ المعسولة طلاقات  
تنطلق قذائف . . قاتلة . . محرقة . . من كل الجبهات  
في الجولان . . وفي سيناء . . الجرح الدامي . . في ايلات  
ماذا يعني خط الهدنة في واجهة الدبابات  
ما معنى حرب الكلمات  
« ناصر مات »  
قتلوه غدراً بالكلمات  
ما أسرع ما تتكاثف سحب الشبهات  
وانفتح الباب أمام جنيف حيث تقام المؤتمرات  
حيث تحل قضايا الشارع . . فالأزواج مع الزوجات  
مذ عرف العالم كيف يحيل نضال الشعب الى كلمات  
في مأدبة . . بين السادة والسادات  
في السيرك الضاحك  
اسرائيل تجيد فنون الاكروبات

#### (4)

يارب ضربنا وتد الخيمة في سيناء  
وكتبنا اسم فلسطين خطوطاً في عرض الصحراء  
خط كيسنجر  
خط بارليف  
وخطوطاً أخرى تنتظر بقايا الأسماء  
من أرشيف البيت الأبيض  
من حجرات الـ «اف.. بي.. أي»  
حيث تعاد صياغة كل خطوط العالم  
كل صباح.. كل مساء  
لا تظمسوا معالم المؤامرة  
لا تكتموا صيحاتنا المكررة  
لا تدفنوا خيامنا المبعثرة  
رجالنا يستشهدون داخل المستعمرة  
ويرسمون في جدرانها القديمة المشاهد المعبرة  
يستعرضون العالم القديم.. يلعنون روحه المستهتره

(5)

في هجمة جريئة على القرى  
أو اختطاف طائرة  
أو طلقة تثير الرعب في العواصم المغامرة  
ما أرخص الحياة حين لا تحرك الإنسان غير مجزرة  
بوركت يا أيلول.. يا مفجر الحريق في القنيطرة  
أطفالك الصغار ودعوا لم يتركوا مذكرة  
قد سجلوا بطولة مؤثرة  
تعيش كالصنوبر القديم.. نفحة معطرة  
ترشي بالعبير كل مقبرة  
من سار في طليعة الصفوف لن يموت في المؤخرة  
لا تحزنوا.. يا ساكني الخيام  
يا بقية المدينة المهاجرة  
لا تطلبوا من الإله مغفرة  
جريمة المشردين في الخيام سبة  
تلوب في جباهنا المعفرة

## « اسمها آن »

إلى طفلي أن .. أهدي ذلك الديوان .. « قصائد بريطانيا » :

اسمها آن

ولدت في ضاحية في «لنكشير»

في الريف الهادي .. في جو حلو ومثير

في صبح شات ومطير

لا تسمع غير أغاريد الأطيّار

تتراقص في قمم الأشجار

تنتظر قدوم الأخبار

في غربتنا .. لا نعرف غير الأشعار

نشتم رباح التغيير

في الريف .. الأخضر في لنكشير

قد ولدت أن

خرجت كالشمس القزحية

نبتت من جوف الأرض كحفنة قمح شتوية

كخيوط الضوء تدلت من قسّمات وجوه شمعية

جاءتنا في طرحة عرس .  
كبطاقة شعر قد كانت في جيب الشاعر منسية  
جاءت والأرض مغطاة ببقايا قطع ثلجية  
في نصف الليل ...  
دقت أجراس كناثنا  
قرعت أبواب مساكننا الاثرية  
عادت أن  
كالوجه الغائب منذ زمان  
كالحلم الضائع بين سحابات النسيان  
صوتاً في الغربة يحكي قصة إنسان  
قالت في صوت لا يعرف معنى الأحران  
أمسك أبتى كفيا  
هات القبلة - احضني .. عطشى فلتحرق شفثيا  
قد كنت زماناً أنتظر قدوم الريح الغربية  
تحملني ليلاً .. تذروني كرمال الشط الذهبية  
فاحملني خذني قروية

في قلبي طهر القرويات  
أوقدنا كل الشمعات  
بسنين الغربية .. بالعشرات  
أشعلنا النور يضيء توأببت الظلمات  
يا سجن الغربية .. لا تفتح .. دعنا نستمع باللحظات  
قد عادت أن  
حسنا القرية تتبختر  
شربت من خضرة ذاك السهل الأخضر  
نقشت أحرفها فوق الرمل .. كأصداف البحر الأحمر  
حفرت تاريخ العودة في حجر المرمز  
لن أنسى .. قطعاً لن أنسى  
سأظل كثيراً أتذكر  
رؤيا .. كالحلم الاسطوري  
بل أكبر من أن نتصور  
قد خرجت نبضاً من قلبي  
يتحرك في جنبي الأيسر

## «حاشية»

ألا ما أروع التحفة  
وقفنا بضع سنوات وقد طالت بنا الوقفة  
وبعد الشوق واللهفة  
أطلت حلوة الشرفة  
فراشات خريفية  
تحلق في مزارعنا .. بأجنحة ربيعية  
كأغنية غرامية  
وقد خرجت عروس البحر .. حورية  
بلون عيونها السوداء «زرقاء يمامية»  
وزرقة شعرها المجدول في خصل حريرية  
تغطي الوجه .. قرص القمر المخبوء في سحب رمادية  
وأخر قادم في البيت .. في ثقة وحرية  
فتاة تعقب الولدين .. تبني خير ذرية  
حلاوة آخر العنقود .. في الشفتين ... أزلية

مارس 1974

## كلمات ملتهبة في وداع صديقتي بريطانيا

«اعذريني صديقتي إذا افترقنا في أوج  
مجدنا.. وعفواً إذا اختلفنا لحظة الرحيل فأنا مسافر  
إلى حبيبتى.. هناك تنتظرنى..»  
أه يا بريطانيا  
ذات الفصول الأربعة  
الشمس.. والأمطار تهمني..  
والجليد يفيض من وجه السحاب الأتقنة  
في كل يوم تلتقي الأصداد  
تجتمع النقائض في رباك مروعة  
في لحظة تنتقل من همس الربيع  
إلى هدير الزوبعة  
والجو كاللغز المثير نبوءة  
في قلب ملكوت السماء السابعة  
بريطانيا.. ذات الفصول الأربعة  
ما أجمل الصيف النضير على التلال الممرعة  
وسهولك الخضراء.. لوحات منمقة.. وصور رائعة  
طوق البنفسج.. حول عنق التل..  
حاكته أنامل مبدعة  
وتفتحت أزهار نيسان..

المحيطة بالحقول الشاسعة  
لكنه كالحلم.. لا يبقى طويلاً في خطاه المسرعة  
كالظل.. لا تشعر به إلا وفارق موقعه  
وتعود تحملنا الرياح إلى الفصول الأربعة  
عفواً،، إذا فارقت أرضك ناكراً  
حسن الجميل.. وذكريات ممتعة  
شكراً فقد ذقت النعيم بذاته  
وشربت من بحر الملذة والدعة  
وعرفت رغد العيش فيك.. وطاب لي..  
حلو المقام.. مع الرحابة والسعة  
لكن شيئاً في ضميري.. خافقاً  
متوثباً.. ما عدت أدري منبعه  
قد سد لي كل الدروب.. أشار لي أن أتبعه  
فوجدت أصل الكنز في بلدي  
وقد سرقوه في الماضي وغيروا موضعه  
من حسرة المحروم يمشي في ثياب رثة ومرقعة  
من لهفة العطشان يحرق في الظهيرة مزرعة  
من لوعة المختبيء في الغابات في سود الليالي المفزعة  
من وحشة المغمور.. في تلك البقاع الضائعة  
كل المقابر في بلاد المعوزين تحولت كنزاً لديك وصومعة  
ما أبحرت سفن لأيّ جزيرة  
إلا وقد هبت رياح المنفعة

جاء القصاص مؤخراً ..  
لكن سيلقى كل جان مصرعه ..  
وأرى مغيب الشمس عن عرش الجلالة فاجعة  
يترنح التاريخ كالمذهول في جدرانك المتصدعة  
كالثور انهالت عليه رماح صيد مشرعة  
من كل بلد كان يرزح تحت نيرك موجعة  
قد اشعل النيران  
فاندلعت حريقاً شبّ في كل السهول الواسعة  
لكنه التاريخ .. قد نفّض العباءات القديمة خرقة ومبرقة  
مغموسة في طينة الغفران  
في زيف الطقوس الشائعة  
وأراد يكتب في صحائفه سطوراً ناصعة  
تتحوّلين إلى متاحف للحروب المفجعة  
وستنزفين دم الملايين التي سالت كؤوساً مترعة  
ما كان من خلقي .. ولست طبيعتي  
ذم الصديق .. ولا ثناء الإمعة  
من يندب الحظ البريء .. ويتبرى ..  
في خيبة المظلوم .. يذرف أدمعة  
فارقت جنات النعيم مرحباً  
بالنار في وطني .. ونفسي قانعة  
عيش الجحيم هناك بين عشيرتي  
السعد في جناتك المتنوعة

فلنعترف .. لم تنسجم خطواتنا  
في البدء .. تفصلنا صحارى شاسعة  
أشتاق يهزمني حنين جارف  
للقرية .. الصوفية .. المتواضعة  
لغة الكلام تدير رأسي كلما ..  
حاولت فك رموزها المتوقعة  
وهجرت لغة الضاد صرت كأعجم  
تصغى إليه .. وتستحي أن تسمعه  
تتكسر الكلمات .. تلوي عنقها  
تذري ضرام دلالها متمنعة  
يتعثر التعبير .. تفلت كلمة  
وتجىء أخرى لم تكن متوقعة  
وتضيع أفكاري .. كحزمة أنجم  
عبثاً أحاول رصدها متجمعة  
وتركت نظم الشعر .. روح مواهبي  
قد كان في كفي أداة طيِّعة  
جفت روافد نبعه وبحوره  
وتجمدت أمواجه المتدافعة  
وأغازل اللغتين مثل موزع الاشواق  
بين حبيبتين .. هنا معه  
فمتى أعود إلى البلاد مع التي  
ملكتم شغاف القلب كي أسترجعه

غداً الرحيل .. صديقتي .. فإلى اللقاء ..  
وقد نشرت الاشرعة  
وعبرت في بحر الشمال .. تسوقني  
ريح الحنين .. إلى بلادي الوادعة  
وتركت أثاري لديك رواية  
لم تكتمل .. في عرضها متقطعة  
لم تكتمل كل الفصول .. وأن تك  
في آخر اللحظات كانت ممتعة  
فحضرت اسمي في نقوشك بارزاً  
ليكون خاتمة الفصول الاربعة  
أهديك أغنية الوداع .. قصيدة  
ملتهبة .. وعلى الرباب موقعة  
صوت الدليب يشق صمت الليل  
في صخب .. يقض مضاجعه  
تبتل بالشوق الحبيس بداخلي  
لهفة مشبوبة .. متطلعة ..  
في نغمة الطنبور .. في نبراته ..  
شجن الغريب .. بكي .. ورقرق أدمعه  
أواه .. من وتر .. ينادي باكيا ..  
« وينقرش النعام » فيه أصابعه

أغسطس 1974

## تهنئة قلبية لميلاد «زَيْن»\*

بعدهما أيقنتُ اسمي  
ضاع في وسط الزحام  
جاء «زَيْنُ» حاملاً اسمي أمامي  
عاد بالبَصْرِ الذي قد ضاع مني  
وافتقدته بين طَيَّاتِ الظلامِ  
عاد بالأملِ الذي قد كان حُلماً  
يطرُقُ الأبوابَ في عزِّ المنامِ  
جاء «زَيْنُ» في يديه  
نعمةَ الإبصارِ في حسنِ الختامِ  
حَمَلَ بَرَّ الوالدينِ . . ومن أبيه  
عَظْمَةَ الأخلاقِ من خيرِ الأنامِ  
ومن أمِّ تفاخُرٍ بي وتزهو  
بِحُسْنِ الطَّبَعِ من بيتِ الكرامِ  
أطلتُ فوق بيتي نجمَ سعدِ  
مُجِيدُ القَوْلِ في حُلُوِّ الكلامِ  
هَنِيئاً . . فرحةً للأسرتينِ  
قُدُومُ طفلِ سما بهما إلى أسمى مقامِ  
ودامت أفراحُ الأسرتينِ  
والحمد لله رب العالمين

## لبيك يا وطني

نظمت هذه القصيدة في يناير، 1983 ونشرت في صحيفة (الإتحاد) الإماراتية في ابوظبي، والقيت في الاحتفال بذكرى استقلال السودان في المركز الثقافي الاجتماعي السوداني، في نفس الليلة في أبوظبي، وطبعت في ديوان (أشباح المدينة) المجموعة الشعرية الكاملة - المجلد الثاني ص 221

لبيك يا وطني قريبا ونائيا	ابشك أشجائي غريبا وباكيا
فديتك يا سودان شعبا وموطنا	تظل مدى عمري عزيزا وغاليا
أمجد استقلالك الأكبر الذي يفيض	بروح البذل والحب ساميا
وجاء يدق الباب في المهجر الذي	بكأك دموعا واشتهاك قوافيا
رعاك الله يقظان ساهرا	تعدد من رحلوا ومازلت باقيا
تحن الى الابن المهاجر كلما	تذكرت اسما أمطر الدمع هاليا
تظل على جمر الأبوة قابضا	تحس بكفي النار في الكف قاسيا
فداك دعاء الغائبين ضراعة	وعافاك من سقم اصابك شاكيا
وأنبت في غاباتك الخضر جنة	تداعب اخيار الشقوق الشواديا
تنادي بقايا العائدين مواكبا	جموعا واسرابا.. دليلا وحاديا
من العالم المهجور من ألف موقع	تسجل تاريخا وتصنع راويا
سنت بعادي عنك حتى أصابني	شعور عليل أغمض الجفن داما
ثقل الخطي يمشي إليك تراجعاً إلى	الخلف شان الظل يمشي ورائيا
ييدي مثل الغريق تطلعا	إلى طوق منجاة يجيب دعائيا

نكابدها صبيرا وتمضى تماديا  
حيارى.. لماء النيل عطشى صواديا  
كأضغاث حلم راود العين جافيا  
تحس بأحزاني وتدرى بكائيا؟  
فسال رضابا في مذاقي صافيا  
تجر عني الأوجاع ظمان ساقيا  
وتنبش حاضرنا فنلقاه قاضيا  
تجلجل في الأسماع صوتا مناديا  
يرأوح في وجهي ويمشي أماميا  
يعادل يوما في ربوعك خاويا  
يعوض ما قد ضاع أو ظل باقيا  
سوى حدث قد مر بالعمر لاهيا  
على صدر مغترب وما سر رائيا  
من الشمس والظلماء أما وراعيا  
فان حصاد الخير ما زال دانيا  
تلالا وأنهارا.. صحارى وواديا  
وغابات أسمنت تلاقت عواليا  
إذا شئت غصون... نخلة ودواليا  
أطل له وجه من الأهل شافيا  
تماثيل شمع كم تذوب تلاشيا  
تمرق أطرافى.. تشق ردايا

تسير بنا الأيام في ظل غربة  
نهيم بشوق الأرض ظمأى نفوسنا  
نسيز نياما لا تقر عيوننا  
شقيت فأبكاني هواك فهل ترى  
وذقت شراب المز شهدا وعلقما  
أغالب في صبر القريب كآبة  
تدور بنا الأيام نجتزم ما مضى  
لك الله يا سودان في كل محنة  
كانك في الأفلاك نجم معلق  
فلا تحسبن العيش في قلب جنة  
ولا المال والجاه العريض وما حوى  
وما كان يقصينا على البعد لم يعد  
ستجعله الأيام وشما معلقا  
وتبقى لنا الأرض الحنون مظلة  
هي الأرض مهما أثمرت من خطيئة  
عشقتك يا أرضي بكل جوارحي  
يبوتا من العشب القديم تعانقت  
وساحات تفيض من الضيق والفضي  
وأهات مخزون إذا سال جرحه  
لأن وجود الأهل خارج موطني  
وأشكال فحار إذا ما تهشمت

صنوف زرايا تجعل الفكر باليا  
شعوري في ظل الفراق معاديا  
دروبا من الأشوال أمشيها حافيا  
أواصل مشواري على الجمر جاريا  
يشقون في درب الرجوع نواصيا  
على دفاء أحضان الطبيعة غافيا  
أراك على الحالين عني راضيا  
وهل أرتجي من دون قلبك حانيا  
أقاوم كتمان الذي كان خافيا  
تزلزلني حبا ولو كنت ساليا  
وشيء من الحرمان يدمى المآقيا  
أعز حياة بل أشد تباهيا  
اليك لما كان الخيار مساويا  
لما رجحت عندي ترابك خاليا  
وألبس من خرق الثياب حواشيا  
توشي حواشيه حروفك زاهيا  
لأكسب معروفًا وأرضى مواليا  
تشعان حبا صادق الوعد ناميا  
سحابات حزن تجعل الحزن غاليا  
إليك وتدعوني... فليبك داعيا

وتنخر في جسدي وتكسر شوكتي  
وما ضقت ذرعا في ثراك ولم يكن  
مضيت وقد لاقيت في كل خطوة  
ولو عجزت قدمي عن السير في اللطي  
فان بنى السودان مهما تفرقوا  
تركتك مثل الطفل في حضن أمه  
أجد وأشقى في هواك وغايتي  
حنانك يا أمي حنانك يا أبي  
صبرت على أمل اللقاء ولم أعد  
وما عاد يشغلني سواك ولم تزل  
وأجمل ما في العشق صد وجفوة  
أحس بجسمي تحت أرضك ميتا  
ولو قسيت الدنيا بمقدار لهفتي  
ولو وزنوا الدنيا بميزان كفتي  
أشيد من طلل الخرائب مسكنا  
واحمل أشعاري كتابا مزخرفا  
وأصدقك القول الذي ما نطقته  
ومن أجل عينيك اللتين أراهما  
تهون عذابات السنين وتنجلي  
وما قيمة الدنيا إذا لم تضميني

## بطاقة معايدة إلى مغترب

نظمت هذه القصيدة في مايو 1981، وألقت في المركز الثقافي الاجتماعي السوداني في أمسية شعرية مع الشاعر الكبير الصديق الطيب محمد سعيد العباسي، ونشرت في صحيفة (الأتحاد) بابوظبي وطبعت في ديوان (أشباح المدينة) في المجموعة الشعرية الكاملة - المجلد الثاني ص 79.

مالي أراك تثير نار فؤادي  
وتعيد لي ذكر المودة والنوى  
وطنسي اذا ذكر الجليس شجونه  
يا (طيب) النفحات في أشعاره  
ابن القريض.... ولدت في احضانه  
صوت القبيلة بن أكرم شاعر  
قد ضاق بالأيام في نزواتها  
شان الرجال تفاوتت أقدارهم  
ما كان مثلك أن يفارق داره  
لو لا تملكه الأسى حين اشتروا  
في ذمة التاريخ ما يلقاه من  
شيخوخة - مدت إليك ظلالها  
تأتي الرياح على خيامك صرا  
ما أضيع الإنسان... أضحى فدية  
وصحائف . التاريخ ملء سطوره  
جئت . الخليج ولا أقول مجاملاً

من بعد ما ذر الزمان رمادي  
عهد المحبة في ربوع بلادي  
أمضيت ليلي في رحاب سهادي  
ومطوع الأوزان دون عناد  
متفردا عن زمرة الرواد  
قد سلم الرايات للأحفاد  
تبكى الفراق حواضر وبوادي  
في العيش تحت العباء والأصفاد  
كالروح قد خرجت من الاجساد  
وتساوت الألاف . بالأحاد  
ظلم البحار وقسوة الصياد  
قتلت ربيع العمر فوق مهاد  
وعزاؤنا في قوة الأوتاد  
ترجى لتشبع شهوة الجلال  
شأن الجماعة من هوى الأفراد  
سنواته كانت أعز حصادي

الله يعلم لم يكن في خاطري  
 وسألت نفسي هل سميت لغربتي  
 أم أن أصل الحزن صوت ربابتي  
 وتشابه الأيام بعض تصوري  
 كان الخيار الحربيين أصابعي  
 قد طفت بالبيت. الحرام مهرولا  
 ووجدت في القرآن خير وسيلة  
 ما ضاع من عمري وهبت سنيته  
 أفديك يا عيد التحرر والفتاد  
 عطرت مشرقة الجبين بنفحة  
 ورفعت رايات طويت بنودها  
 من دون ذكرك قد حرقت قصائدي  
 يا (طيب) الأخلاق بين صحابه  
 ستعود للوطن العزيز منارة  
 ستعود كالطير المهاجر متعبا  
 حين اغتربت وقد حزمت عتادي  
 أم أن قدري كان بالمرصاد؟  
 ومرارة . الكلمات طعم مداي؟  
 حين ارتديت لهن ثوب حداد؟  
 والآن أفلت من يدي وقيادي  
 في كل عام رائحا أو غادي  
 للبدء من حيث انتهى أجدادي  
 من أجل أرضي لحظة الميلاد  
 يا أجمل الأيام والأعياد  
 منحضوبة ومضيت في إنشادي  
 أمدا طويلا في حقيبة زادي  
 من أجل بعثك قد شحذت زنادي  
 ومطوع الأوزان دون عناد  
 وقادة من ذهنك الوقاد  
 من غربة موقوتة الميعاد

مايو 1981 (صحيفة الاتحاد)

(1) عيد التحرير.. إشارة الى عيد الاستقلال والذي لم تحتفل به الدولة كاحتفالها  
 بأعياد مايو من ذلك العام. \* في لحظة قدام حر.. هزنتني قصيدة الشاعر  
 السوداني المبدع الطيب محمد سعيد العباسي في العدد الماضي بعنوان: خواطر  
 مغترب، فانسابت هذه الرسالة عفو الخاطر... بطاقة معايدة.

## وداع الأحبة

القيت هذه القصيدة في حفل الوداع الذي أقامته لى أسرة مستشفى  
الطب النفسي الجديد بابوظبي في قاعة الاجتماعات الكبرى في 13 أكتوبر  
2003 والتي :

شاركتي في البناء ...

وكرمتي بالعطاء ...

وغمرتني بالوفاء ...

حتى صرنا أسرة واحدة ... في السراء والضراء ...

دعني أودعكم رفاق حياتي      يا خيرة الأخوان والأخوات  
يا يا أجمل الأوتار في قيثارتي      وعصارة الألحان في نغماتي  
كفوا مدامعكم - فقد أشقى بها      ولكم سعدت برؤية البسمات  
وصنعت مجدي من عطاء جماعة      منظومة كالعقد دون شتات  
هذا العطاء أحال ذهني قوة      لا تعرف الأذعان في الأزمات  
هذا الوفاء أضاء قلبي شمعة      فتوهجت في أحلك الظلمات  
أحيام الذكرى ... تظل وجوهكم      في خاطري وتموج في مرآتي  
وأعارك الدنيا وخلفي حبكم      ولهيبه يشتعل في جنباتي  
وكان روحي جذوة متقدة      من حب أبنائي وعشق بناتي  
فإذا رحلت فإن أشواقني هنا      وتركت خلفي ريشتي ودواتي

هيهات أن أنسى زمانا عشته  
هيهات أن أنسى مكانا ضمنى  
عايشت في مبناه دفاء أخوة  
لولا مودتكم على طول المدى  
وبلا محبتكم سابقى عاجزا  
دعنى أذكر من تعامى أو عمى  
وأقول يرتجف السؤال على فمي  
لوقيل إن الموت عاقبة الفتى  
مستصحبا روح النبوة قدوة  
لوجئت تسألني: بنفسك حاجة؟  
والحبر في قلمي بقايا ثروتي  
وصعدت في درج المعالي قمة  
واليوم اكتب صفحة في سيرتي  
وأرى طريقى واضحا خططته  
وأقول للتاريخ مهلك لحظة  
شيدت في قلب الخليج منارة  
ومدينة للطب في أرجائها  
في حوزة علمية ليست لها  
فأنحت على كل المداخل حكمتي

عصرا من التاريخ في ميقاتي  
وأظلني في أجمل اللحظات  
وأبوة حفلت بخير صلوات  
عشرون عاما من حصاد حياتي  
وبدونكم ما كانت انجازاتي  
عن رؤية الابداع في سنواتي  
من كان ينكر قوتي وثباتي؟  
ما همى يوما سهيل مماتي  
مسترخصا في البذل ثمن حياتي  
يكفيني أبنائي كطوق نجاتي  
هل ينضب التعبير في الكلمات؟  
وكأنني سافرت في غيماتي  
وأخبر التاريخ موقع ذاتي  
وحسبت في مشواره خطواتي  
هذا زمانى... فأنتى برواتي  
علمية... عصرية الوحدات  
يتناقش العلماء في الندوات  
أخرى تضاهيها على الساحات  
وأرسم على جدرانها لوحاتي

وأكتب على وجه الجدار وصيتي  
دعنى أضمكم بصدر عامر  
ما شابه حقد ولا علقت به  
ما نكص في عهد ولا زلت له  
وعفوت عن ظلم المسئئ سماحة  
قد أن لي أن أستجم بدوحتى  
قدر الرجال إذا تقدم عمرهم  
ويلوحون مودعين جادهم  
وهنا أودعكم... ألوح سائلا  
ويثيبكم عنى ثوبا عاجلا  
وأقول للتاريخ : صبرك ساعة  
في كل زاوية ترى لمساتي  
بالحب يتحلى بأحلى صفات  
صفة النفاق ولعنة النزوات  
قدم ولا عاني من العثرات  
والعفو من طبعي وبعض صفاتي  
ويطوف حولي بالرحيق سقاتي  
يترجلون كفارس الحلبات  
متطلعين إلى الرعيل الآتي  
أن يستجيب الله لي دعواتي  
يزداد أضعافا بكل صلاة  
وأسمع إلى الكلمات في أبياتي

## رسالة إلى أحلى عناويني

### قصة قصيدة

هذه الرسالة جاءت نفثة مصدر.. وصرخة موتور من القلب إلى القلب.. فابنتي اسمها أن.. وقد أعطيتها هذا الاسم لأنها ولدت في بريطانيا في أعقاب التخصصية عام ١٩٧٤ وقد كونت علاقة حميمة مع أسرة المستشفى والعاملين فيها فأصروا أن أبقى في وقت كنت أتحرق شوقاً للعودة إلى السودان.. وطلبوا مني أن أعطيها اسماً من بريطانيا وأصروا إصراراً وأقاموا لها احتفالاً في وداعي لهم أطلقوا عليها (لوسي)

وبكل ما لهذا الاسم من إحياءات في مجتمعنا الشرقي وكان في ذلك الوقت تحتفل المملكة المتحدة بخطوبة الأميرة أن من الأمير ماركس فيليب.. فقلت لهم دعوني أسميها أن.. فإن رجعت للسودان.. أناديها أمنة.. اسم أمي.. فتغلب الحديث على القديم وسار عليها اسم أن.. فهي صدى ذكرياتي في بريطانيا وحب الإنسان لأخيه الإنسان وهي نبض قلبي بحب أمي التي افتقدتها في باكورة حياتي.. فصارت الاثنين معاً.. وهذا مرجع الصدى الذي ينبعث من أبيات القصيدة.

أحن إليك يا أحلى عناويني  
وقافيتي التي في وصفها عجزت  
وملهمتي التي كبرت وفي نظري  
براءة وجهها تخفي ملامحها  
وكنتُ أظنها فطمت وما زالت  
ورقة قلبها صوت يهددني  
وأشفق حين أسمعها تكلمني  
وأحلامي التي عادت تؤرقني  
بعثتها رغبة في العلم في بلد  
تحب الطب يستهويها عالمه  
«فعلم النفس» بعض من هوايتها  
وأصل الفخر عندي أن غايتها  
ومذ رحلت نزيه الجرح يؤلمني  
وداعاً يا لهيب الشوق في كبدي  
وعيل الصبر ما عادت تعللني  
وظن البعض أنني غير مكترث  
وأخفي.. أحبس الكلمات أكتمها  
ولا احد يحس بما أكابده  
وليت البعض في قولي يصدقني  
وأشعاري التي ملأت دواويني  
بحار الشعر فانقلبت موازيني  
كأن لم تبلغ الخمس وعشرين  
طفولتها تعذبني وتشقيني  
تدغدغ دفاء عاطفتي تناغيني  
ولوعة شوقها تبكي... وتيكنيني  
وأشقى حين أسمعها تنادينني  
وقدر حلت... متى يوماتلاقيني؟  
لتبقى في دراستها إلى حين  
لتنهل منه في كل الميادين  
«وطب النفس» من أجل المساكين  
تنال شهادة كبرى... فترضيني  
ونار البعد تنشرني وتطوينني  
وموال الأسى في وتر تلحيني  
رسائلها التي كانت تعزيني  
وكنتُ أظن صبري قد يواتيني  
فيعصرني الضنى هما ويضنيني  
كأن الفقد أصلاً ليس يعنيني  
بلا عجب... بلا ظن... وتخمين

برغم صرامة القسمات في وجهي  
وقدراً من سمات الضعف في طبعي  
و ثقل العبء في دنياي علمني  
ولو قيست سنين الود في عمري  
متى فارقت أحداً بين عائلتي  
أتي زمن ( لأن ) • أن تعلمني  
طوال العمر تغمرني بشاقتها  
وتملاً بيتنا حباً وعاطفة  
تلاعب داخل الحجرات إخوتها  
وتطعمهم وتسقيهم مودتها  
متى تأتي تغرد فوق دوحتنا  
أنا الشاكي ... أنا المشتاق منتظر  
فلن أنسى ... وقد جاءت تودعني  
سنجني من رياض الحب باقتنا  
فإن بداخلي كنزاً من اللين  
يقابلها التطبع حين يعينني  
صدى الأزمات في نفس الميامين  
تجاوز طولها عمر الملايين  
كطعنة عنة خنجرٍ قطعت شرابي  
فطام الروح في أعقاب خمسين  
مدى الأيام ... في رفق تواسيني  
كبوح العطر أو عبق الرياحين  
تلاطفهم تداعبهم كأزهار البساتين  
فأصبح لقبها أم المحبين  
كفى أرقاً ... فما قد ضاع يكفيني  
على أعتاب أبوي لتأويني  
وداعا كاد يقتلني ويحييني  
نقلدها حبيبتنا هنالك طوق ياسمين

• أن : اسم ابنتي الكبرى الدكتورة / آن الزين عباس عمارة التي سافرت إلى بريطانيا للدراسات العليا في الطب النفسي وقد كانت تعمل في دائرة الخدمات الطبية بدبي ... مستشفى راشد، وتركت فراغاً كبيراً في حياة الأسرة في انتظار عودتها.

## بطاقة حب للإمارات

### قصة قصيدة

حبي لدولة الإمارات العربية المتحدة لا يجاريه حب .. أقول هذا والله  
على ما أقول شهيد .. عشت فيها ربع قرن من الزمان وما زادني ذلك إلا  
تعلقاً بها .. والتصاقاً بترابها .. وعشقا لمفردات اسمها الذي تجمع في كلمة  
(معشوقتي الأولى) ولهذا الحب مغزاه .. وفيه معناه .. وله مصدره .. ومنه  
مخبره ، فقد حققت فيه من الأمانى الشخصية ما لم يترك مجالاً لي لأمنية  
أخرى غير الدعاء بحسن الخاتمة .. وقد وصلت فيه من المراتب ما زادني  
إيماناً بقوله تعالى : وإن شكرتم لأزيدنكم « .. صدق الله العظيم

ولعل كلمات هذه القصيدة هي أحد مظاهر عبارات الشكر .. وطهر  
العبادة في القلب واللسان .

أدعوك ملهمتي هوى غلابا	قد عشت فيه كهولة وشبابا
قد ذقت طعم العشق في سنواته	لما تحول في الشفاه رضابا
لما تغلغل في حشاشة مهجتي	وامتلك روحي رقة وصبابة
من فرط ما غلى بلهفة حبه	زرع الامارة جيئة وذهابا
أنفقت أجمل ذكرياتي صبوة	وقضيت سنوات اللقاء عذابا
أنشأت أطفالى فصاروا فتية	نهلوا من الحب النيل شرابا
وتعلموا وتأهلوا وتزوجوا	وتسمنوا سرج الزمان ركابا

بلغوا من الغايات أعلى درجة  
 وتسابقوا في غايتي ورعايتي  
 ورضيت عنهم داعياً متضرعاً  
 عانقت أحفادي نضارة باقة  
 مسحت عناء الدهر من وجهي وقد  
 وتبسم الزمن العنيد وضمني  
 قد صنع من رغد الحياة خميلة  
 ناديت يا وطني فلبى صيحتي  
 وأحاط بي فرحاً وهلل قائلاً:  
 وأنعم بخير ضيافة عربية  
 لو قلت يا سودان جاءني هاتف  
 شعب تشرب بالندى وصفاته  
 تجري مع النيل الحبيب قصيدة  
 العلم أوقد في دجها شعلة  
 يا (زايد الخيرات) شعبك عاشق  
 أرض الامارات الحبيبة درة  
 أحلى المدائن في الخليج نضارة  
 تستكتب التاريخ في صفحاته  
 أرض المروءة والضيافة والندى  
 غمرتك روح الشعب فيض محبة  
 ماخيخوا ظني بهم أو خابا  
 وتبادلوا في راحتي الأنخابا  
 أدعو الإله يسخر الأسبابا  
 اشتم عطر ورودها الجذابا  
 غسلت دموعي من أسى وكأبة  
 بلد يفيض سماحة ورحابا  
 نختال في أفيائها الخلابا  
 وأفاض من حلو الكلام خطابا  
 هذي بلادك فافتح الأبوابا  
 تزجي اليك البشر والترحابا  
 ليك ! جاءت نجدة وجوابا  
 حب المضيف جماعة وصحابا  
 من روح وحي أسرج المحرابا  
 فاضاء فيها العلم والأدبابا  
 وهواك فجر أبحراً وعبابا  
 د من فيض نورك قد أضاء شعابا  
 وأقل عمراً في الزمان حسابا  
 فامتلاً أمجاداً وفاض كتابا  
 جمعت شعوباً إخوة أحبابا  
 غنت بمجدك أنجماً وسحابا

وشمخت في طول البلاد وعرضها  
وصعدت بالأحلام أعلى قمة  
كالضوء يخترق الضباب شهابا  
ترعاك عين الله أول قائد  
واحتضن ألف قبيلة في صدره  
ومشى يشق طريقه مستوثقا  
جمع الشتات على صعيد واحد  
عف اللسان إذا أطلت محنة  
أسدى لهم قول الحكيم نصيحة  
بالكلمة الحسنی يجادل أمة  
شيدت فيها مآذنا وقبابا  
من بعد ما كانت صدى وسرابا  
كالضوء يخترق الضباب شهابا  
في عصره قد وحد الأعرابا  
متوشحا فضل العطاء إهابا  
في عزمه مستمسكا ومهابا  
متجاوزا به فرقة وسبابا  
واستحكمت في العالمين خرابا  
رقت حواشيها هدى وصواباً  
شهدت بحكمته رضاً وعتاب

## (الشمعة المنطفئة)

### قصة قصيدة

في حالة الأحداث الكبيرة .. والصدمات المفاجئة يصاب الفرد بحالة جمود .. ذهول .. وفقدان قدرة على الفعل والانفعال .. كما يحدث سيكولوجيا عند كبار السن الناضجين في استقبال الفاجعة حينما يرددون (إننا لله وإنا إليه راجعون) وعند الصغار غير المستبصرين الذين لا يعرفون الرمز .. رمز الفقد أو دلالة الموت .. أنه عذاب أبدي . قد تستمر هذه الحالة من الجمود .. وعندما يسكت اللسان تتكلم الجوارح .. فتدمع العين .. ويحزن القلب .. ولا نقول إلا ما يرضي الرب .. فقد عشت مع الفقيد أحلى اللحظات ..

وأقسى المواقف .. الرفض والقبول .. الصد والوصول .. المرصود والمجهول .. وفي كل الأوقات ما رحل عن البال وما غاب عن الذاكرة . وعندما جاء إلى الإمارات كنت أول من قال له ! أخطأت يا حسبو .. فأنت في السودان في القلب والخاطر .. قلب كل رجل وخاطر كل امرأة .. تعرف رجل الطريق .. وصانع القرار .. ووصلت مرحلة من المجد وبذلت قدرا من الجهد، ولا مبرر لوجودك خارج دائرة العافية، ولو قلت، وبعيدا عن وقع الزمن ولو قصر .. ولكن يبدو أن إرادة الله كانت خلف قرار عجزت عن تفسيره، وربما كان قدره ومصيره . رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع الشهداء والصديقين وحسن اولئك رفيقا .

مالي أحس بأن خطاي تضطرب  
 عهدي بشمسك في قلب الضحى وهج  
 تبدو على أفق الخرطوم غاضبة  
 ثكلى تولول في الطرقات تشهدها  
 قل لي : أجنبي حين تسألني  
 وفي أسى لم نمت تبكي وما برحت  
 تهذي باسمك المألاً ترى أحداً  
 شهران اعقبها حزن وفاجعة  
 كنت الملل في أحضان باكية  
 تهب الضياء لعيني أسرة عميت  
 ماذا أحدث عن دنياك أخبرني  
 وكنت في دعة العيش الرغيد وما  
 كنت المحدث في التلفاز مقتدراً  
 وتعشق الشعر تصعد في منابره  
 وفي الصحافة تتباهي لك صور  
 أسفي على مجدك الماضي نودعه  
 دجا الصباح قد اسودت ملامحه  
 نجاهد الصبر لا تقوى عزيمتنا  
 رحلت في زمن قل الصديق به  
 حين افتقدتك بين الناس يا (حسبو) \*  
 مالي أراها تودعنا وتحتجب  
 تزلزل المستوصف المهجور تلهب  
 من فرط حرقتها تنأى وتقترب  
 من في غيابك تتباكى وتكتئب  
 تتذكر الحلم عند الليل تنتحب  
 أولى بحبك حيث الحب مكتسب  
 تتعاقبان كماتتعاقب الحقب  
 ثكلي يقطع كبدها الغضب  
 من فرط ما هدها الاجهاد والتعب  
 نبرات صوتك في الأذان تصطخب  
 أعياك فيه مرام أو غلا طلب  
 وفي الاذاعة تتوالى لك الخطب  
 عند اللقاء يضيء الفكر والأدب  
 عند الصباح ويتعالى لها الطلب  
 من ذا يسجل ما ضاقت به الكتب  
 وكان تغمره الأضواء والشهب  
 تجري الدموع على الحديد تنسكب  
 رغم الخلاف يغذي ناره الخطب

دب الخلاف ... وقد كنا نؤججه  
كنت الكبير وتحمل إسم عائلة  
تضيق أنفسنا في كل ملحمة  
طوراً تداعب مثل الطفل مقتدراً  
طوراً تقاتل في شتى مواقفنا  
رأيت فيك بلادي كلها عشقت  
كنت الوديع وفي عينيك حائرة  
كنت الكروم ظللاً في حديقتنا  
نراك تختزل التاريخ منتصباً  
عجبي! سؤالك عن حال الخليج هنا  
درب الهروب من الأزمات خانقة  
شاء القضاء أراك حيث تتبعه  
ما كنت أحسبني أحياء الى زمن  
ماذا نقول وقد سبقت مشيئته  
نحن الصغار وبين يديك نحترب  
في العائلات لطب النفس تنتسب  
غضباً نشور ويهدأ صدرك الرحب  
تستعذب اللهويغري وروحك اللعب  
وتعود يغلبك الترويح والطرب  
حلو الحديث يروق لسانك الذرب  
لغة الحوار يفك رموزها العتب  
وقد تساقط من أغصانها العنب  
في قاعة الطب لا ريب ولا عجب  
وما ظننت سؤالك لي له سبب  
ومثل شخصك لا يحلوه الهرب  
لكي تعود على التابوت تصطحب  
أراك فيه عن السودان تغترب  
أجل المنية حيث تكون يحتسب

---

\* حسب الرسول سليمان... أخي وصديقي وزميلي الأكبر الأستاذ الدكتور / حسبو سليمان، كبير استشاري الطب النفسي بوزارة الصحة في السودان، والذي هاجر الى دولة الامارات العربية المتحدة في العامين الأخيرين في حياته، وانتقل إلى رحاب مولاة مولاة في مدينة أبوظبي.

رقم الإيداع: 2022/002490338